تابع القسم الثانى

قسم البلاغة والنقد

٨- القلب والفؤاد ومواقعهما في القرآن الكريم

أ.د / يوسف عبدالله الأنصارى

٩- قراءة بلاغية في قصيدة أبى فراس الحمدانى

أ.د / عبدالله عبدالخالق محمد

١٠- البخل في القرآن الكريم

أ.د / عبدالفتاح السيد نوفل

القلب والفؤاد ومواقعهما

في القرآن الكريم

دراسة بلاغية

إعداد الدكتور : يوسف عبدالله الأنصارى

الأستاذ المشارك بقسم البلاغة والنقد

جامعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله خلق الإنسان من طين وجعل نسله من نطفة في قرار مكين ، والصلاة والسلام على النبي الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين . وبعد .

فإن النظر في القرآن الكريم منذ أن نزل على نبينا الكريم أصبح واجباً دينياً حيث أمر الله تعالى فيه جميع خلقه بتدبير آياته لمعرفة تشريعاته وأحكامه ، وناسخه ومنسوخه ، ومبهمه و مجمله ، ومطلقه ومقيده ، وغير ذلك من العلوم التي أودعها الله في كتابه الكريم .

ومنذ ذلك الحين إلى عصرنا الحاضر كان لعلماء هذه الأمة على تنوع طوائفهم من نحويين ولغويين ومفسرين وأصوليين وفقهاء ومتكلمين مزيد عناية بكتاب ربهم حيث جعلوه محور دراستهم كان ثمرته هذا الجهد المبارك الذى تزخر به خزائن المكتبات العربية من الكتب المفيدة في جميع العلوم العربية والإسلامية .

وللإسهام في أداء بعض الواجب نحو كتاب ربنا الكريم عقدت العزم على دراسة موضوع يتصل ببلاغة القرآن الكريم جعلت عنوانه " القلب والفؤاد ومواقعهما في القرآن الكريم " حرصت فيه على تتبع هذين اللفظين في آيات القرآن الكريم للوقوف على بيان دلالة كل منهما في

القرآن الكريم ، وارتباط كل منهما بسياقه الوارد فيه بحيث لا يمكن أن يوضع أحدهما موضع الآخر مع اشتراكهما في الدلالة .

ويقع البحث في مقدمة وفصلين هما على النحو الآتي :

الفصل الأول : القلب في البيان القرآني ، ويتكون من عدة مباحث:

المبحث الأول : القلب حقيقته ودلالاته في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : القلب ومباحث علم المعاني .

المبحث الثالث : القلب والصور البيانية .

الفصل الثاني : الفؤاد في البيان القرآني : ويتكون من المباحث التالية:

المبحث الأول : الفؤاد حقيقته ودلالاته في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : الفؤاد ومباحث علم المعاني .

المبحث الثالث : الفؤاد والصور البيانية .

وخاتمة : عرضت فيها أبرز النتائج التي أسفرت عنها الدراسة . ثم ثبت بأهم المصادر والمراجع .

وفي الختام أسأل الله تعالى التوفيق ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى ، وما كان هذا في العمل من تسديد وتوفيق فمن الله تعالى ، وما كان فيه من تقصير ونقص فمن عجزي ، وحسبي أني بذلت أقصى جهدي ، ومنه تعالى نستمد العون والتوفيق ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفصل الأول

القلب في البيان القرآني

المبحث الأول : القلب حقيقته ودلالاته في القرآن الكريم

القلب : هو المضغة أو اللحمة الصنوبرية الشكل المستقرة في التجويف الأيسر من الصدر ، وسمي بذلك لكثرة تقلبه ، وهو على صغر حجمه أهم أعضاء الجسم لأنه هو الذي يقوم بتنظيم الدورة الدموية التي هي قوام حياة الإنسان .[١]

وقد ورد القلب في القرآن الكريم على عدة معان منها :

١. بمعنى العقل قال تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب [٢]) أي عقل .
٢. بمعنى الروح قال تعالى (وبلغت القلوب الحناجر [٣]) أي الأرواح .
٣. بمعنى الرأي والتدبير قال تعالى (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى[٤]) أي آرائهم مختلفة .
٤. بمعنى العلم والفهم قال تعالى (إن فى ذلك لمن كان له قلب [٥]) أي علم وفهم .
٥. بمعنى حقيقة القلب الذي في الصدر قال تعالى (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور [٦]) ، وهذا النوع من القلب يطلق على

---

(١) انظر مادة قلب في الصحاح ١/ ٢٠٤ ومابعدها ولسان العرب ٥/ ٣٧١٤ والمفردات ٦٨١ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٢/ ٤١٤ .
(٢) ق (٣٧) .
(٣) الأحزاب (١٠).
(٤) الحشر (١٤) .
(٥) ق (٣٧).
(٦) الحج (٤٦) .

قلوب عديدة : منها قلب الكافر قال تعالى (قلوبهم منكرة [١]) وقلب المنافق قال تعالى (في قلوبهم مرض [٢]) وقلب العاصي قال تعالى (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله [٣]) وقلب خواص العباد قال تعالى (وجاء بقلب منيب [٤]) وقلب المحبين قال تعالى (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد [٥]) .

وقد أوصل بعضهم هذه القلوب إلى سبعة أنواع لا داعي لذكرها، لأن ما ذكرناه كاف بالمراد ، ومن أراد الاستزادة فليراجعه في مظانه[٦].

وقد ورد القلب في القرآن الكريم مفرداً غير مقترن بالضمير في ستة مواضع منها :

قوله تعالى (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك [٧]) وورد مضافاً إلى ضمير المخاطب المفرد في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزل على قلبك [٨]) وجاء مضافاً إلى ضمير الغائب المفرد في ثمانية مواضع منها قوله تعالى (ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام [٩]) وورد مضافا إلى الغائبة المفردة مرة واحدة في قوله تعالى (إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها[١٠]) ، وجاء مثنى مرة واحدة في قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه [١١]) ، وذكر مجموعاً غير مضاف أو مضافاً إلى اسم ظاهر في واحد وعشرين موضعاً منها قوله تعالى (لهم قلوب لا

---

(١) النحل (٢٢) .
(٢) البقرة (١٠) .
(٣) الزمر (٢٢) .
(٤) ق (٣٢) .
(٥) ق (٣٧) .
(٦) ا نظر بصائر ذوى التمييز ٢٨٩/٤ وما بعدها والكليات الكفوى ٦/٤ .
(٧) آل عمران (١٥٩) .
(٨) البقرة (٩٧) .
(٩) البقرة (٢٠٤) .
(١٠) القصص (١٠) .
(١١) الأحزاب (٤) .

يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها [1]) وقوله تعالى (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين [2]) وورد مضافاً إلى ضمير المخاطب المثنى مرة واحدة في قوله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما [3]) وجاء مضافا إلى ضمير المتكلمين في ستة مواضع منها قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة [4]) وجاء مضافاً إلى ضمير المخاطبين في خمسة عشر موضعاً منها قوله تعالى (ثم قست قلوبكم فهي كالحجارة [5]) والى ضمير الغائبين في ثمانية وستين موضعاً منها قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم[6]) وورد مرة واحدة مضافاً إلى ضمير الغائبات في قوله تعالى (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن [7]) .

وحين نتأمل مواطن ورود القلب مفرداً ومجموعاً في القرآن الكريم للوقوف على علاقات القلب بالإدراك الإنسانى والسلوكيات الإنسانية نجد النظم القرآني الكريم قد أسند إلى القلب مفرداً ومجموعاً كثيراً من العواطف والانفعالات والعقائد لأن محلها القلب ، وأسند إليه بعض سلوكيات الإنسان على نحو ما نوضحه فيما يلى :

فمن العواطف والانفعالات الرعب : وهو الخوف يملأ القلب [8] وجاء في قوله تعالى : (سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب [9]) وقوله تعالى (وقذف في قلوبهم الرعب [10]) .

أما الخوف : فهو الفزع لتوقع مكروه وضده الأمن [11]، وجاء مدلولاً عليه في قوله تعالى (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم و إذ

---

(١) الأعراف (١٧٩) .
(٢) الأعراف (١٠١) .
(٣) التحريم (٤) .
(٤) آل عمران (٨) .
(٥) البقرة (٧٤) .
(٦) البقرة (٧) .
(٧) الأحزاب (٥٣) وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٥٤٩ وما بعدها .
(٨) انظر المفردات ٣٥٦ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٥٠٦/١ .
(٩) آل عمران (١٥٥) .
(١٠) الأحزاب (٢٦) .
(١١) انظر المفردات ٣٠٣ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٣٨١/١ والكليات الكفوي ٣٠١/٢ .

زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا [1]) ، ويشترك معهما في الدلالة العامة لفظ الوجيف : وهو اضطراب القلب من الخوف ، يقال : وجف القلب : خفق واضطراب من الفزع [2]، وجاء في قوله تعالى (قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة) [3] ، ولفظ الوجل : وهو استشعار الخوف والفزع [4] ، وجاء في قوله تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) [5] وقوله تعالى (والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) [6].

والرأفة : أشد من الرحمة ، يقال ، رأف به ويرأف رأفة : أشفق عليه من مكروه يحل به فهو رؤف ورءوف [7].

والرحمة : مصدر من الفعل رحم يرحم رحماً ورحمة ومرحمة : أي رق له قلبه وعطف عليه ، وهي رقة تقتضى الإحسان إلى المرحوم ، وقد تستعمل تارة فى الرقة المجردة ، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو : رحم الله فلانا ، وروى أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ، ومن الآدميين رقة وتعطف [8] ، وقد جاء لفظ الرأفة والرحمة في قوله تعالى : (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ...) [9].

والغيظ : أشد الغضب وسورته ، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه ، وهو خاص بالغضب الكامن عند العاجز [10]، وجاء مسنداً إلى القلب في قوله تعالى (ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) [11].

---

(١) الأحزاب (١٠) .
(٢) انظر معجم ألفاظ القرآن ٨٢٥/٢ .
(٣) النازعات (٨) .
(٤) انظر المفردات ٨٥٥ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٨٢٦/٢ .
(٥) الأنفال (٥) .
(٦) المؤمنون (٦٠) .
(٧) انظر لسان العرب مادة رأف ١٥٣٥/٣ والمفردات ٣٧٣ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٣٠٣/٢.
(٨) المصدر السابق مادة رحم ١٦١١/٣ والمفردات ٣٤٧ ومعجم ألفاظ القرآن ٤٥٤/١ .
(٩) الحديد (٢٧) .
(١٠) انظر لسان العرب مادة غيظ ٣٣٢٧/٥ والمفردات ٦١٩ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٤٨٢/١ .
(١١) التوبة (١٥) .

والارتياب : الشك والظن ، وارتياب الرجل : شك فهو مرتاب ، والريب والريبة الشك والظنة والتهمة ، والريب ما رأبك من أمر ، وقد رابني الأمر وأرابني ، وريب الدهر صروفه ، وإنما قيل له ريب لما يتوهم فيه من المكر ، والريبة اسم من الريب قال تعالى (لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة في قلوبهم) فهي تدل على دغل وقلة يقين منهم [1] . وأسند الارتياب إلى القلب في قوله تعالى (وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) [2] .

والحسرة : أشد الندم ، وهى الغم على ما فات والندم عليه ، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه ، أو انحسرت قواه من فرط غم ، أو أدركه إعياء من تدارك ما فرط منه [3] ، وقد جاء في قوله تعالى (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) [4] .

والسكينة : هي الهدوء وطمأنينة القلب وخشوعه ، وقيل هي الوداعة والوقار [5] وورد في قوله تعالى (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) [6] .

والطمأنينة : السكون بعد الإنزعاج [7] وجاء مسنداً إلى القلب في آيات عديدة منها قوله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) [8] .

ومن العقائد الإيمان : وهو مصدر من الفعل آمن بمعنى أذعن وصدق ، والإيمان بالله يستعمل تارة اسماً للشريعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام ، ويوصف به كل من دخل في شريعته مقراً بالله وبنبوته صلى الله عليه وسلم ، وتارة يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق ، ويكون ذلك باجتماع ثلاثة

---

(١) انظر اللسان مادة ريب ١٧٨٨/٣ والمفردات ٣٦٨ وما بعدها ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٥٢٧/١ وما بعدها

(٢) التوبة (٤٥) .

(٣) انظر المفردات ٢٣٥ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٢٧٠/١ .

(٤) آل عمران (١٥٦) .

(٥) انظر اللسان مادة سكن ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٦٠٢/١ .

(٦) الفتح (٤) .

(٧) انظر المفردات ٥٢٤ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ١٤٥/٢ .

(٨) الرعد (٢٨) وراجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٤٢٨ .

أشياء : تحقيق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح وعلى هذا في قوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) [1] وجاء لفظ الإيمان قوله تعالى (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم) [2] وقوله تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار .....) [3] و تأمل كيف أثبت الحق سبحانه وتعالى الإيمان في نفوس هؤلاء المؤمنين بقوله (كتب في قلوبهم الإيمان) فهو إيمان ثابت . لا يمكن أن يتزحزح أو يزول ، ويكفي هؤلاء فخراً وشرفاً وتكريماً أن يتولى رب العزة والجلال كتابة الإيمان في قلوبهم . ويرتبط بالإيمان الإخبات والخشوع والإخبات هو التواضع والخشوع والاطمئنان بالإيمان يقال : أخبت لله أو إلى الله : خشع واطمأن بإيمانه فهو مخبت ، وهم مخبتون[4] . وورد الإخبات مسنداً إلى القلب في قوله تعالى (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم) [5].

أما الخشوع فهو : الضراعة والسكون والإخبات ، وخشوع القلب ضراعته وسكونه ، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح ، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب [6] ، وجاء الخشوع مسنداً إلى القلب في قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) [7].

ويقابل الإيمان والاستقامة الزيغ والإعراض عن الإسلام ، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعني بألفاظ عديدة كالزيغ والختم على القلوب والطبع عليها والصرف لها ومعنى الزيغ : الميل عن الاستقامة والقصد ، يقال زاغ يزيغ زيغاً وزيغاناً : مال عن القصد [8]، وورد زيغ

---

(١) الحديد (١٩) وانظر المفردات ٩١ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٥٥/١ .
(٢) الحجرات (٧) .
(٣) المجادلة (٢٢) .
(٤) انظر المفردات ٢٧٢ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٣٣١/١ .
(٥) الحج (٥٤) .
(٦) انظر اللسان مادة خشع ١١٦٥/٢ والمفردات ٢٨٣ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٣٤٩/١ .
(٧) الحديد (١٦) .
(٨) انظر اللسان مادة زيغ ١٩٠٠/٣ والمفردات ٣٨٧ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٥٥١/١ .

القلوب في قوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة) [1] ، أي في قلوبهم انحراف عن الحق وميل عنه إلى الأهواء والشهوات وجاء في قوله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم)[2] أي فلما أصروا على الزيغ والانحراف صرف الله قلوبهم وآمالهم عن قبول الحق لصرف اختيارهم إلى العمى والضلال [3].

والختم : الختم والطبع يقال على وجهين : مصدر الفعل ختمت وطبعت : وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم والطابع ، والثاني : الأثر الحاصل عن النقش ، ويتجوز بذلك تارة فى الاستيثاق من الشيء والمنع منه اعتباراً بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب ، نحو قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم) [4] ، وقوله تعالى (وختم على سمعه وقلبه) [5] وتارة في تحصيل شيء عن شيء اعتباراً بالنقش الحاصل ، وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر ومنه قيل : ختمت القرآن أي انتهيت إلى آخره ، فقوله (ختم الله على قلوبهم) [6] وقوله تعالى (قل ارأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم ...) [7] إشارة إلى ما أجرى الله به العادة إن الإنسان إذا تناهى في اعتقاد باطل ، أو ارتكاب محظور ، ولا يكون فيه تلفت بوجه إلى الحق يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصي وكأنما يختم بذلك على قلبه وعلى ذلك (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) [8] وعلى هذا النحو استعارة الإغفال في قوله عز وجل (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) [9] واستعارة

---

(١) آل عمران (٧) .
(٢) الصف (٥) .
(٣) انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ٥٥١/١ .
(٤) البقرة (٧) .
(٥) الجاثية (٢٣) .
(٦) البقرة (٧)
(٧) الأنعام (٤٦) .
(٨) النحل (١٠٨) .
(٩) الكهف (٢٨) .

الكن في قوله تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) [1] واستعارة القساوة في قوله تعالى (وجعلنا قلوبهم قاسية) [2] .

والصرف: رد الشيء من حالة إلى حالة ، أو إبداله بغيره ، يقال: صرفته فانصرف قال تعالى (ثم صرفكم عنهم) [3] وصرف القلوب : تحويلها عن الهداية [4] وجاء في قوله تعالى (وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) [5] .

والنفاق : أصله مأخوذ من نافقاء اليربوع ، ويقال نافق الرجل نفاقاً : أظهر الإسلام وعمل بعمله وأبطن الكفر [6] ، وجاء النفاق مسنداً إلى القلب في قوله تعالى (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه) [7] وعبر القرآن الكريم عن المنافقين في بعض آياته بالمرض كما في قوله تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) [8] .

أما السلوكيات فقد تكون سوية أو غير سوية ، فمن السلوكيات السوية التآلف : وهو الاجتماع على المحبة [9] ،وجاء مسنداً إلى القلب في قوله تعالى (إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم) [10] أي فألف بينكم لأن التآلف سلوك يظهر بين المتحابين في الله بالتواصل والتحاب في الله ، وورد في قوله تعالى خطاباً لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم (لو أنفقت ما في الأرض ما ألفت بين قلوبهم) [11] .

---

(١) الأنعام (٢٥) .
(٢) المائدة (١٣) وانظر المفردات ٢٧٤ وما بعدها .
(٣) آل عمران (١٥٢) .
(٤) انظر المفردات ٤٨٢ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم (٢/٧٠ .
(٥) التوبة (١٢٧) .
(٦) انظر المفردات ٨١٩ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٢ / ٧٥٠ .
(٧) البقرة (١٠) .
(٨) التوبة (٧٧) .
(٩) انظر المفردات ٨١ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٤٥/١ .
(١٠) آل عمران (١٠٣) .
(١١) الأنفال (٦٣).

ومن السلوكيات غير السوية الجفاء في التعامل مع الآخرين وجاء معبراً عنه في القرآن الكريم بغلظة القلب في قوله تعالى (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) [1].

واللهو : وهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه ، يقال لهوت بكذا ، ولهيت عن كذا ، اشتغلت عنه بلهو من الأعمال غير المجدية كالغناء وغيره [2] ،وجاء اللهو مسنداً إلى القلب مع أنه سلوك يتسلى به الإنسان عما ينفعه في دينه ودنياه في قوله تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم) [3] . وارتكاب الإثم وله صور متعددة منها كتمان الشهادة ، وجاء مسنداً إلى القلب في قوله تعالى (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)[4].

ومن السلوكيات النفور والإعراض عن سماع الحق وقد عبر عنه القرآن الكريم باشمئزاز القلوب ، وأصل مادة الشمز والاشمئزاز معناه التقبض ونفور النفس من الشيء تكرهه [5] ، وجاء في قوله تعالى (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) [6] .

وغير خاف في أن ما تقدم ذكره مما جاء في البيان القرآني من المعاني المتنوعة معبراً عنه بالقلب قد استعمل فيها القلب على حقيقته وفي بعضها الآخر سلك به إما المجاز أو الكناية على النحو الذي سنوضحه بعون الله في موضوع لاحق من هذه الدراسة .

المبحث الثاني : القلب ومباحث علم المعاني

أولاً : القلب بين الإفراد والتثنية والجمع :

إن المتأمل لصيغ الإفراد والتثنية والجمع في البيان القرآني يبهره ما يجده من أسرار البلاغة القرآنية في مجيء بعض الألفاظ تارة مفردة

---

(١) آل عمران (١٥٩) .
(٢) انظر المفردات ٧٤٨ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٥٩٣/٢ .
(٣) الأنبياء (٣).
(٤) البقرة (٢٨٣) .
(٥) انظر اللسان مادة شمز ٢٣٢٤/٤ والمفردات ٤٦٤ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٣١/٢ .
(٦) الزمر (٤٥) .

أو مثناه وتارة أخرى بصيغة الجمع على النحو الذي تراه في قوله تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات .....) [١].

في هذه الآية الكريمة تعانق الإفراد والجمع لتحقيق مقاصد النظم الكريم حيث أفردت ولاية المؤمنين وجمعت ولاية الطاغوت ، وافرد النور وجمعت الظلمات ، لأن ولي المؤمنين واحد تتجه إليه قلوبهم وتتوحد حوله أهدافهم ، والكافرون تتوزعهم الولايات بتعدد ضلالاتهم وأهوائهم ، ولم ينشأ النظم الكريم أن يجمع الطاغوت كما جمع الأولياء فيقول : أوليائهم الطواغيت ، كما يقضى به ظاهر التناسب للإشارة إلى أن جميع المضلين يتعبدهم الشيطان ، ويحقق بهم غايته ، كما أن جمع الظلمات وإفراد النور للإشارة إلى تعدد واختلاف الضلالات ووحدة طريق الحق لأن الإيمان واحد [٢] وجاء القلب مفرداً في تسعة عشر موضعاً [٣] ، إما غير مضاف وإما مضاف إلى الاسم الظاهر أو ضمير المخاطب أو الغائب والغائبة أو المتكلم ، وجيء به مفرداً في هذه المواضع تحقيقاً ومراعاة للتناسب لأن المتحدث عنه أو المخاطب أو المتكلم مفرد كما في قوله تعالى (وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم) [٤] وقوله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) [٥] فوحد القلب لأن المخاطب كما ترى مفرد تحقيقاً للتناسب اللفظى .

وجاء القلب بلفظ المثنى في موضع واحد في قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم) [٦].

---

(١) البقرة (٢٥٧) .
(٢) انظر الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن ٣٣-٣٥ وراجع البحر المحيط ٢٨٣/٢ وروح المعاني ١٤/٣ .
(٣) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٥٤٩ .
(٤) الصافات (٨٤) .
(٥) ق (٣٧) .
(٦) الأحزاب (٤).

ولما لم يكن لهذه الصورة وجود فى الواقع وهي صورة أن يكون لرجل قلبان في صدره جاءت في القرآن الكريم منفية (ما جعل الله لرجل من قلبين) ووراء مجيء القلب مثنى في هذه الآية حكمة اقتضاها النظم القرآني الكريم وهي التوصل عن طريق ضرب مثل محسوس واضح في التناقض والبطلان لا يمكن أن يدفعه عاقل ، ولا ينكره منكر إلى نقض ما زعموه من جعل الزوجة أماً والمتبني ولداً [١]،فكما لا يمكن أن يكون لرجل قلبان في جوفه فكذلك لا يمكن أن تكون الزوجة أماً ، أو المتبني ولداً ولو جاء القلب في هذه الآية مفرداً لضاع هذا المعنى الذي حققه لفظ التثنية .

وجاء القلب مجموعاً في مائة وخمسة عشر موضعا [٢] ، غير مضاف أو مضافاً إلى ضمير المخاطبين أو الغائبين أو الغائبات ، وهو في جميع مواطن وروده جيء به مجموعا مراعاة للمخاطبين تحقيقاً للتناسب اللفظي بين أعطاف النظم القرآني من ذلك قوله تعالى (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله) [٣] جمعت القلوب لأن المخاطبين جمع وهم الذين كفروا ، ونظيرها قوله تعالى (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً) [٤] ولما كان المؤمنون جمعاً جمعت القلوب مراعاة للتناسب اللفظي وفصاحة البيان القرآني .

لكن ما السر في جمع القلوب وإضافتها إلى ضمير الاثنين في قوله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) [٥] ، لم أجد في كلام المفسرين تفسيراً محدداً لسر هذا الجمع سوى اتفاق كلامهم على أن الجمع في مثل هذا التعبير أكثر استعمالاً من المثنى لكراهية الجمع بين تثنيتين مع ظهور المراد ، وفي هذا الصدد يقول أبو حيان (وأتي بالجمع في قوله

---

(١) من أسرار التعبير القرآني للدكتور محمد أبو موسى ص٦٢ والتحرير والتنوير ٢١/٢٥٤ وما بعدها .
(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٥٥٠ وما بعدها .
(٣) آل عمران (١٥١) .
(٤) الفتح (٤).
(٥) التحريم (٤).

قلوبكما وحسن ذلك إضافته إلى مثنى وهو ضميراهما ، والجمع في مثل هذا أكثر استعمالاً من المثنى ، والتثنية دون الجمع كما قال الشاعر :

فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العبط التي لا ترفع

وهذا كان القياس ، وذلك أن يعبر بالمثنى عن المثنى لكن كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا إلى الجمع ، لأن التثنية جمع في المعنى [١] ويقول الألوسي (والجمع في قلوبكما دون التثنية لكراهية اجتماع تثنيتين مع ظهور المراد ، وهو في مثل هذا أكثر استعمالاً من التثنية والإفراد) [٢].

ويقول الطاهر بن عاشور (وإذا كان المخاطب مثنى كانت صيغة الجمع في " قلوب " مستعملة في الإثنين طلباً لخفة اللفظ عند إضافته إلى ضمير المثنى كراهية اجتماع مثنيين فإن صيغة التثنية ثقيلة لقلة دورانهما في الكلام فلما أمن اللبس ساغ التعبير بصيغة الجمع عند التثنية) [٣] وذكر الدكتور عبدالعظيم المطعني توجيهاً لطيفاً اعتماداً على أن المراد بقوله صغت بمعنى زاغت وأثمت كما هو منقول عن ابن عباس ، قائلاً (وعلى هذا يكون مجيء القلبين جمعاً فيه تهويل وتفظيع لما حدث من زوجتي النبي ﷺ من إفشاء سره عليه الصلاة والسلام لأن في ذلك ما يؤذيه) [٤].

ولعل السر والله أعلم بمراده هو أن قلبيهما لما جرى فيهما ما يستوجب التوبة جمعت القلوب فكأنهما قلوب تفرقت عما كانت مجموعة عليه من مرضاة الله ورسوله فصارت كأنها قلوب شتى .

ثانياً : القلب تعريفه وتنكيره :

التعريف والتنكير من طرق الإبانة عن المعاني في لغتنا العربية، ولهما من الدلالات البلاغية المتنوعة التي تستفاد من السياق بمعونة

---

(١) البحر المحيط ٢٩٠/٨ وما بعدها وراجع التفسير الكبير ٤٤/٣٠ وحاشية زاده ٥١٣/٤ ونظم الدرر ١١٨/٢٠ .

(٢) روح المعاني ١٥٢/٢٨ .

(٣) التحرير والتنوير ٣٥٦/٢٨ .

(٤) حقائق القرآن وأباطيل خصومه القسم الثالث ص ١٦٠ للدكتور عبدالعظيم المطعني

القرائن ومقتضيات الأحوال . وباستقراء مواطن ورود القلب في القرآن الكريم نجده قد جاء منكراً ، وجاء معرفاً ، وفيما يلي نستعرض بعض أسرار تنكيره وتعريفه .

ورد القلب نكرة مفرداً ومجموعاً في سبعة مواضع منها قوله تعالى : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل .....) [١] .

تنكير القلوب في هذه الآية الكريمة للنوعية أي لهم نوع خاص من القلوب استحقوا به وصفهم بعدم الفقه والإبصار والسمع ، ومعنى نفيها عنهم لأنهم عطلوا في أنفسهم منافذ الهداية ولذلك هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا . ويحتمل أن يراد به مع النوعية التحقير والله تعالى أعلم .

ونظير هذه الآية السابقة قوله تعالى (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) [٢] فالتنكير للنوعية أي لهم نوع خاص من القلوب ، ومثله قوله تعالى (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) [٣] ، ذهب الفخر الرازي إلى أن التنكير في هذه الآية للتكثير والتعظيم والكمال (أي لمن كان له قلب واع ، يقال لفلان مال أي كثير ، فالتنكير يدل على المعنى في الكمال) [٤] ونحن نوافق الرازي فيما ذهب إليه من دلالة إفراد القلب على التعظيم ، ولا نوافقه في دلالته على التكثير لبعده عن سياق الآية الكريمة . أما في قوله تعالى (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة) [٥] فيدل تنكير القلوب على التكثير ، غير أن الطاهر بن عاشور صرح بالتكثير والنوعية بقوله (وتنكير " قلوب " للتكثير ، أي قلوب كثيرة ، ولذلك وقع مبتدأ وهو نكرة لإرادة النوعية) [٦]. وفي قوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على

---

(١) الأعراف (١٧٩) .
(٢) الحج (٤٦) .
(٣) ق (٣٧) .
(٤) التفسير الكبير ١٨٢/٢٨ وانظر التحرير والتنوير ٣٢٤/٢٦ .
(٥) النازعات (٦-٨).
(٦) التحرير والتنوير ٦٧/٣٠.

قلوب أقفالها) [1] يفيد التنكير التهويل والتفظيع لشأن هذه القلوب ، يقول الألوسي (وتنكير القلوب لتهويل حالها وتفظيع شأنها وأمرها في القساوة والجهالة كأنه قيل : على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يغادر قدرها في القساوة) [2] .

وقد اتخذ القرآن الكريم لتعريف القلب سواء أكان مفرداً أم مجموعاً التعريف بالألف واللام والتعريف بالإضافة دون بقية طرق التعريف الأخرى ، وكان حظ التعريف " بأل " أقل من التعريف بالإضافة ، ومن هذه المواضع التي ورد فيها القلب معرفاً بالألف واللام قوله تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) [3] ، لا يخفى أن تعريف القلب بالألف واللام هنا للعهد أي هذا القلب المعهود أنه قلب الرسول ﷺ لأن الخطاب موجه له صلى الله عليه وسلم إذ المعنى ولو كنت يا محمد فظاً جافياً قاسي القلب لانفضوا وتفرقوا من حولك .

ومن ذلك قوله تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) [4] تعريف القلوب بالألف واللام في قوله (تطمئن القلوب) يحتمل أن يراد به العهد أي القلوب المعهودة أنها قلوب المؤمنين ، ويحتمل الجنس ، أي جنس القلوب .

ويفهم من كلام الطاهر بن عاشور أن التعريف للجنس ليشمل عموم القلوب حيث يقول (وافتتحت جملة " ألا بذكر الله " بحرف التنبيه اهتماماً بمضمونها وإغراء بوعيه ، وهي بمنزلة التذييل لما يفيده تعريف " القلوب " من التعميم) [5] .

وفي قوله تعالى (فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور) [6] تعريف القلوب مراد به الجنس ، وفي هذا الصدد يقول

---

(١) محمد (٢٤).
(٢) روح المعاني ٧٤/٢٦.
(٣) آل عمران (١٥٩).
(٤) الرعد (٢٨) .
(٥) التحرير والتنوير ١٣٨/١٣ .
(٦) الحج (٤٦) .

الطاهر بن عاشور والتعريف في " الأبصار ، والقلوب ، والصدور " تعريف الجنس الشامل لقلوب المتحدث عنهم وغيرهم ، والجمع فيها باعتبار أصحابها) [1].

أما تعريف القلب بالإضافة فقد جاء في أكثر مواطن وروده في القرآن مضافا إلى الضمير سواء أكان المتكلم أو المخاطب أو الغائب ، ومضافا إلى الاسم الظاهر في مواطن قليلة [2] ،فمن المواطن التي أضيف فيها القلب إلى الضمير قوله تعالى (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) [3] فتعريف القلب بالإضافة في قوله " على قلبك " للتعظيم والتشريف لأن الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم تشريف ما بعده من تشريف ، وقيل كان حق الكلام أن يقال " على قلبي " وقد بين ذلك الزمخشري بقوله (فإن قلت كان حق الكلام أن يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله تعالى كما تكلم به كأنه قيل : قل ما تكلمت به من قولي من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك) [4] ونظير الآية السابقة قوله تعالى (خطابا لنبينا الكريم نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) [5] وفى بيان أن الإضافة للتشريف بقول البقاعي ٠ على قلبك أي يا محمد الذي هو أشرف القلوب واضبطها وأوعلها فلا زيغ فيه ولا عوج) [6].

ويتأمل مواطن وورود القلب معرفاً بالإضافة نجده مضافاً إلى الذين كفروا ، وإلى الكافرين ، والمعتدين ، والمجرمين ، ويفيد التعريف معنى التحقير كما في قوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) [7] وفي

---

(١) المصدر السابق (٢٨٩/١٧).
(٢) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص ٥٤٩ وما بعدها .
(٣) البقرة (٩٧).
(٤) الكشاف ٢٩٩/١ وما بعدها وراجع الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال بهامش الكشاف ٢٩٩/١ .
(٥) الشعراء (١٩٣-١٩٤)
(٦) نظم الدرر للبقاعي ٩٦/١٤ .
(٧) الأعراف (١٠١).

موضع واحد جاء مضافاً إلى الذين اتبعوا نبي الله عيسى عليه السلام في قوله تعالى (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقضينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة .....) [1] أفاد تعريف القلوب في هذه الآية التعظيم لشأن هؤلاء الذين اتبعوا عيسى عليه السلام ، ولعلك تلحظ أن القرآن الكريم قد أضاف القلوب إلى الاسم الموصول (الذين اتبعوه) ولم يقل (قلوب النصارى) لئلا يوهم متوهم أن الذين جعل الله في قلوبهم الرأفة والرحمة هم الذين آمنوا بعيسى عليه السلام وصدقوه في حياته بل ليشمل هؤلاء وغيرهم ممن آمنوا به واتبعوا تعاليم الإنجيل وعملوا بمقتضاها .

ثالثاً : القلب بين تقديمه وتأخيره مع السمع والبصر :

ورد القلب مفرداً ومجموعاً مع السمع والبصر في آيات عديدة في القرآن الكريم على صور متنوعة تارة مع السمع بتقديمه عليه ، وتارة مع السمع والبصر بتقديم السمع عليه وتأخر البصر عنه ، وتارة بتقديم القلب على البصر والسمع ، وتارة بتقديم السمع والبصر على القلب ، وتارة يرد مع الأبصار فيتقدم مرة عليها ويتأخر مرة أخرى عنها ، وتارة يرد مع السمع بتقدمه على السمع على نحو ما نوضحه فيما يلي من الصفحات بعون الله .

وحين يذكر القلب مفرداً أو مجموعاً ولا يرد معه السمع أو البصر فإنه يذكر جرياً على المعتاد في المطابقة بين المعاني والألفاظ في الإفراد والجمع كما في قوله تعالى (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) [2] وقوله تعالى (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) [3] .

أولاً : القلب والسمع والبصر :

قبل البدء في الحديث عن تقديم القلب وتأخيره مع حاستي السمع والبصر للوقوف على أسرار التقديم والتأخير أود أن أقرر بأن تقديم

---

(١) الحديد (٢٧).
(٢) ق (٣٣).
(٣) يونس (٧٤).

القلب أوتأخيره – نظراً لتعدد صوره – لا يخضع لقاعدة مطردة في القرآن الكريم كما نراها في تقديم السمع على البصر في القرآن الكريم حيث اطرد تقديم السمع على البصر ، والقرآن الكريم حين يذكر (السمع بلفظ المفرد ويقرن إليه البصر بلفظ الجمع إنما يشير إلا أن الحاستين ليستا سواء في مبلغ كل عدد من المدركات وفي حظ كل من التلقي والعمل لصاحبه ، فالسمع يدرك شيئاً واحداً ، وهو الصوت ، والبصر يدرك أشتاتاً من المرئيات كأنه جمع من الحواس ، لا حاسة ، فذكر السمع مفرداً يعنى المطابقة بين لفظه ومسماه ، وبين لفظه وعمله في وقت واحد ، وذكر البصر بلفظ الجمع يعنى التفرقة بينه وبين السمع في عدد المدركات من جانب ، ثم المطابقة بين لفظه وتعدد مدركاته مما يجعله شبيهاً بالجمع وأهلاً لأن يعامل معاملته في التعبير عنه من جانب آخر) [1].

وتقديم القلب وتأخيره لا يخضع لقاعدة مطردة بل راجع إلى اختلاف المقامات ، وقدرة كل سياق على الوفاء بالغرض الذي سيق من أجله .

وقد ورد القلب مع السمع والبصر في ستة مواضع ، تقدم فيها القلب على السمع والأبصار في ثلاثة مواضع منها للدلالة على أهمية المقدم وشرفه لأنه موضع التلقي والإدراك ، وجاءت هذه المواضع في الغالب في سياق ختم الله على القلوب وطبعه عليها كما في قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وسمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) [2] وقوله تعالى (أولئك الذين طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) [3] وفى موضع واحد تقدم السمع على القلب مع أنه يتفق مع المواضع السابقة في مجيئه ضمن سياق ختم الله على القلوب يقول عز وجل (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد

---

(١) مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة للدكتور على النجدى ناصف ٦٤ وما بعدها .
(٢) البقرة (٧) .
(٣) النحل (١٠٨) .

الله أفلا تذكرون) [1] وقد أوضح الطاهر بن عاشور السر في تقديم السمع على القلب بخلاف آية البقرة بقوله (وقدم السمع على القلب هنا بخلاف آية سورة البقرة (ختم الله على قلوبهم وسمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) لأن المخبر عنهم هنا لما أخبر عنهم بأنهم اتخذوا إلههم هواهم، فقد تقرر أنهم عقدوا قلوبهم على الهوى فكان ذلك العقد صارفاً السمع عن تلقي الآيات فقدم لإفادة أنهم كالمختوم على سمعهم ، ثم عطف عليه" قلبه " تكميلاً وتذكيراً بذلك العقد الصارف للسمع ثم ذكر ما " على بصره " من شبه الغشاوة لأن ما عقد عليه قلبه بصره عن النظر في أدلة الكائنات.

وأما آية سورة البقرة فإن المتحدث عنهم هم هؤلاء أنفسهم ولكن الحديث ابتدئ بتساوي الإنذار وعدمه في جانبهم بقوله (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) فلما أريد تفصيله قدم الختم على قلوبهم لأنه الأصل كما كان اتخاذ الهوى كالإله أصلاً في وصف حالهم في آية سورة الجاثية ، فحالة القلوب هي الأصل في الانصراف عن التلقى والنظر في الآيتين ولكن نظم هذه الآية كان على حسب ما يقتضيه الذكر من الترتيب ونظم آية البقرة كان على حسب ما يقتضيه الطبع) [2].

وفي قوله تعالى (قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به) [3] ، تقدم السمع والأبصار على القلب ، وهذا التقديم اقتضاه السياق والمقام ولعل السبب في تقديم السمع والبصر على القلب مرده إلى أن الحديث في الآيات السابقة على هذه الآية كان عن إهلاك الله للأمم السابقة وأخذه لهم بالبأساء والضراء ، وكان سبيل وصول هذه الأخبار إليهم عن طريق السمع ، فناسب أن يتقدم السمع ثم البصر فالقلب ، والكلام في هذه الآية جار مجرى التهديد والتخويف لهم ، اختير فيه التهديد بانتزاع سمعهم ، وأبصارهم وسلب الإدراك عن قلوبهم لأنهم لم يشكروا نعمة هذه المواهب بل عدموا

---

(١) الجاثية (٢٣).
(٢) التحرير والتنوير ٢٥/٣٦٠.
(٣) الأنعام (٤٦)..

الانتفاع بها ، ..... فكان ذلك تنبيهاً لهم على عدم إجداء هذه المواهب عليهم مع صلاحيتها للانتفاع ، وناسب هنا أن يهددوا بزوالها بالكلية إن داموا على تعطيل الانتفاع بها فيما أمر به خالقها [1].

أما مجيء القلوب مقدمة على الأعين والآذان في قوله تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذن لا يسمعون اولئك كالأنعام .....) [2] فلأن التقديم في هذه الآية الكريمة سلك فيه طريق الترقي من القلوب التي هي مقر المدركات إلى آلات الإدراك الأعين ثم الآذان[3] ، ومعنى نفيها عنهم تعطيلها لمنافذ الهداية والإدراك في نفوسهم فكأنهم لا قلوب لهم ، ولا أعين لهم يبصرون بها ، ولا آذان لهم يسمعون بها .

ثانياً : القلب والبصر :

ورد القلب والبصر في البيان القرآني في موضوعين تارة بتقديم الأبصار على القلوب ، وتارة أخرى بتقديم القلوب على الأبصار ، والسبب في ذلك يعود إلى اقتضاء كل سياق بما ورد فيه ، كما في قوله تعالى في شأن ما حدث للمسلمين في غزوة الأحزاب (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) [4] وقوله تعالى في شأن ما سيحدث في يوم القيامة (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ....) [5] ولنا أن نتساءل عن سبب تقديم الأبصار على القلوب في آية الأحزاب وتقديم القلوب على الأبصار في آية النور ؟ لعل السبب في اختلاف الصياغة في الآيتين راجع إلى اختلاف المقامين فيهما ، فآية الأحزاب تصور ما أصاب المسلمين من شدة الخوف والهلع بسبب ما رأوا من كثرة عدد جيش المشركين وكثرة عتادهم ، ولذلك زاغت أبصارهم ومالت عن

---

(١) المصدر السابق ٢٣٥/٧ .
(٢) الأعراف (١٧٩) .
(٣) انظر المصدر السابق ١٨٤/٩ .
(٤) انظر المصدر السابق ١٨٤/٩.
(٥) الأحزاب (١٠) .

مستوى نظرها حيرة وهلعاً فلم يعد يقع نظرها إلى ما تريد أن يتوجه إليه، وتصاعد هذا الخوف حتى بلغت القلوب الحناجر ، وكان من المناسب أن تتقدم الأبصار على القلوب لأن الخائف من عدوه عادة أول ما يتسلل الخوف والذعر إلى نفسه ما يقع عليه بصره من كثرة جيش العدو ثم يستقر هذا الخوف داخل القلب ، فللأبصار مزيد خصوصية بهذا الخوف والهلع ولهذا تقدمت على القلوب ، أما آية النور فإن تقلب القلوب والأبصار معناه اضطرابها عن مواضعها من شدة الخوف والوجل ، وهو كناية عن شدة الهول وقوة الفزع والخوف في هذا اليوم ، وسياق الآية يفيض بالثناء والمدح على هؤلاء المؤمنين الذين عددت الآية أوصافهم بأنهم لا تلهيهم تجارة أو بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأنهم يخافون مما سيقع في يوم القيامة من أهوال مرعبة وعذاب شديد ، وأنهم يستعدون لهذا اليوم بالتقرب إلى الله تعالى بالطاعات والعمل الصالح ولذلك قيل " يخافون يوماً " ولم يقل " يخافون في يوم " لأنه يدل على أن خوفهم سيكون في يوم القيامة ، أما ما عليه النظم القرآنى فدال على أن هذا اليوم ماثل في عقولهم لا يغيب عن بالهم طرفة عين يستعدون للنجاة من أهواله بالعمل الصالح والتقرب إلى الله تعالى بالإكثار من الطاعات ، ولهذا ناسب تقديم القلوب على الأبصار ، أو لعل تقديم القلوب على الأبصار في هذه الآية للإشارة إلى أن الخوف في يوم القيامة أول ما يستقر في القلوب عند البعث من القبور ، ثم ينتقل إلى الأبصار بسبب ما ترى في هذا اليوم من أهوال تطيش لها العقول وتضطرب منها القلوب وتزيغ منها الأبصار .

ثالثاً : القلوب والآذان :

ورد القلب مع السمع أو القلب والأذن في خمسة مواضع بتقديم القلب على السمع أو الأذان لأهمية المقدم وشرفه لأنه موضع الإدراك والتلقي من ذلك قوله تعالى (وقالوا قلوبنا في أكنة وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون) [1] ففي هذه الآية ونظائرها بيان لما عليه الكفار من إعراض عن سماع الحق واتباعه ، فقلوبهم في أكنة

---

(١) فصلت (٥٩ ، وانظر الأنعام (٢٥) ، والإسراء (٤٦) ، والكهف (٥٧) ، ق (٣٧) .

بعيدة عما يدعوهم إليه لا ينفذ إليها شيء من ذلك وآذانهم صماء لا يسمعون بها ما يتلوه عليهم من آيات الله البينات .

المبحث الثالث : القلب والصور البيانية

تبين لك عند حديثنا عن القلب ودلالاته في البيان القرآني أنه قد تنوعت معانيه ودلالاته فكذلك الشأن قد تنوعت أساليبه البيانية التى اتخذها القرآن طرائق تعبيرية وقوالب فنية لتحقيق أهدافه ومقاصده في صياغات محكمة تأخذ بمجامع القلوب وتأسر العقول بما تحقق لها من روعة التعبير وجمال التصوير .

لعل أول هذه الأساليب البيانية التي سلكها القرآن الكريم للتعبير عن القلب التشبيه كما في قوله تعالى في شأن بني إسرائيل (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون) [1] أجمع المفسرون على أن التعبير القرآني " فهي كالحجارة " هو تشبيه للقلوب في صلابتها وقسوتها وأنها لا ينفذ إليها شيء من الخير والحق بالحجارة[2] ، وهو تشبيه مرسل لذكر أداة التشبيه ، ولما كانت صلابة الحجر وقسوته أعرف للناس واشهر ولكونها محسوسة شبهت القلوب بها ، ثم ترقى التشبيه فجعل القلوب أشد قسوة من الحجارة للدلالة على أن هذه القلوب لا تثمر الخير أبدا لأنها ليست موضعا صالحا للإنبات [3].

أما الصورة البلاغية في قوله تعالى (قست قلوبكم) فقد ذكر الشهاب الخفاجي في توجيهها أقوالاً عديدة :

١. أنها استعارة تصريحية تبعية في الفعل " قست " استعير لعدم قبول الحق والاعتبار والاتعاظ ثم اشتق من القسوة الفعل " قست " .

---

(١) البقرة .
(٢) انظر الكشاف ٢٩٠/١ والبحر المحيط ٢٦٢/١ وحاشية الشهاب ١٨٥/٢ وما بعدها وروح المعاني ٢٩٥/١ والتحرير والتنوير ٥٦٣/١ وإعراب القرآن وبيانه ١٢٨/١ .
(٣) انظر التصوير البياني للدكتور محمد ابو موسى ص ٢٧ .

٢. أنها استعارة تمثيلية شبهت حال القلوب في عدم الاعتبار والاتعاظ بقسوة الحجارة في أنها لا تتأثر بشئ .

٣. أنها استعارة مكنية وذلك بتشبيه القلوب بالحجارة والقرينة " قست " وقد ضعف هذا الرأي وصرح برفضه لبعده عن السياق بقوله (بخلاف إذا ما جعل القلوب استعارة بالكناية والقسوة قرينة فإنه لا يحسن ولا يستقيم) [١].

وفي تعقيب التشبيه بالترقي " أشد قسوة " إشارة إلى أنها ليست كالحجارة في القسوة بل هي أشد قسوة ، ونلاحظ أن التعبير القرآني قال " أشد قسوة " ولم يقل " أقسى " مع أن فعل القسوة يصاغ منه أفعل التفضيل لكونه أبين وأدل على المبالغة في زيادة القسوة ولقصد وصف القسوة بالشدة فكأنه قيل : اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم أشد قسوة فهي ليست أقسى من الحجارة وإنما هي أشد قسوة كما صرح الزمخشري[٢].ثم انتقل البيان القرآني إلى بيان علة تفضيل الحجارة على القلوب فذكر أن من الحجارة ما تتفجر منه الأنهار ، وأن منها ما يهبط من خشية الله ، وأن منها ما يشقق فيخرج منه الماء ، أما قلوب اليهود فليس فيها شيء من هذه المزايا التي في الحجارة ، فهي فضلاً عن أنها لا تكون منبعا للخير في حياة الناس ، ولن تكون مؤذنة بحركة الخير وانتشارها كما تكون الحجارة مؤذنة بمرور الماء ... ، وفي هذا التشبيه وما جاء عليه من تدرج " كالحجارة أو أشد قسوة " إشارة إلى إن قلوب هذه الجماعة صاعدة في مدارج الغلظة الحاقدة على الإنسان [٣].

وجاء لفظ القلوب مناسباً لسياقه ، وفي إيثار القرآن الكريم التعبير به بدلاً من الأفئدة ، لأن القلب بدلالته على التقلب يوحي بما عليه اليهود من التقلب في القسوة والغلظة والترقي إلى أعلى درجاتها .

أما الاستعارة فقد حفل القلب في بيان القرآن الكريم بروائع الصور منها قوله تعالى (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم

---

(١) حاشية الشهاب ١٨٥/٢ وانظر روح المعاني ٢٩٥/١ .
(٢) انظر الكشاف ٢٩٠/١ .
(٣) انظر التصوير البياني للدكتور محمد أبو موسى ص٢٨ وراجع التحرير والتنوير ٥٦٤/١ .

تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم)[1] . ففي التعبير القرآني " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة " للمفسرين توجيهات عديدة :

١. أنه استعارة تبعية حيث استعير الختم لمنع الهداية والجامع بينهما هو ما يترتب على كل منهما من الحيلولة من نفاذ الحق ، ثم استعير من الختم المستعار صيغة الفعل الماضي " ختم " على سبيل الاستعارة التبعية .

٢. أنه استعارة تمثيلية شبهت حال قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم مع الهيئة الحادثة فيها المانعة من الانتفاع بها في الأغراض الدينية التي خلقت هذه الآلات لأجلها بحال أشياء معدة للانتفاع بها في مصالح مهمة مع المنع عن ذلك بالختم والتغطية ، ثم يستعار للمشبه اللفظ الدال على المشبه به فيكون كل واحد من طرفي التشبيه مركبا ، والجامع عدم الانتفاع بما أعد له بسبب عروض مانع تمكن فيه كالمانع الأصلي وهو أمر عقلي منتزع من تلك الأمور العدة على سبيل الاستعارة التمثيلية .

٣. أنه مجاز مرسل علاقته المسببة حيث استعمل الختم مجازاً في عدم نفوذ الحق لعقولهم وأسماعهم ، وكون ذلك مسبباً لا محالة عن إعراضهم ومكابرتهم[2] .

وإسناد الختم إلى الله تعالى على حقيقته على مذهب أهل السنة ، وهو الذي أرتضيه وذلك بأن نثبت ما أثبته الله لنفسه على نحو يليق بجلاله من غير تحريف أو تبديل أو تعطيل ، أما المعتزلة وعلى رأسهم الزمخشري فلهم تأويلات عديدة ذكرها الزمخشري في قوله (فإن قلت : فلم أسند الختم إلى الله تعالى وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح والله تعالى عن فعل القبيح علواً كبيراً

---

(١) البقرة (٦-٧) .
(٢) انظر الكشاف وحاشية السيد عليه ١٥٦/١ والبحر المحيط ٤٨/١ وتفسير أبي السعود ٦٥/١ وروح المعاني ١٣٢/١ .

لعلمه بقبحه) ثم يضيف قائلاً (فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر ، إلا أن الله سبحانه لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند الختم إليه كما يسند الفعل إلى المسبب ...) [1] ، فالزمخشري يرى أن إسناد الختم – كما يفهم من كلامه – من قبيل المجاز العقلي علاقته السببية ، وقد تابعه عدد من العلماء كالسيد الشريف وغيره [2].

وقد اتفق القراء على الوقوف على قوله " على سمعهم "[3] لعدم تعلقه بما بعده فهو معطوف على قوله " على قلوبهم " للدلالة على طمس قلوبهم وأسماعهم وعدم انتفاعهم بها .

وتقديم الجار والمجرور " على أبصارهم " على المسند إليه " غشاوة " يدل على تشنيع هؤلاء وزيادة الذم لهم ، مع ما فيه من مراعاة للتلاؤم الصوتي الذي نفقده لو جاء النظم بتقديم لفظ الغشاوة وتأخير الجار والمجرور .

وفي التعبير بقوله " غشاوة " استعير لفظ الغشاوة لحالة في أبصارهم مقتضية لعدم اجتلائها آيات الله ودلائله ، والجامع كما ذكرنا في التبعية ، ففي هذا التعبير استعارة تصريحية أصلية ، وتنكير غشاوة للتنويع أي نوع من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث يغطى ما يغطيه شئ من الغشاوات وهو غطاء التعامي عن آيات الله [4] ، ويضيف ابن يعقوب قائلا (وإنما قلنا التعامي للإشارة إلى أنهم يعرفون حقيقة الآيات ويظهرون خلاف ذلك فالحاصل منهم التعامي لا العمى الذي هو عدم ظهور الآيات أصلاً ، وقيل : إن التنوين في الآية الكريمة للتعظيم أي وعلى أبصارهم غشاوة عظيمة وهو أنسب لما فيه من بيان بعد حالهم عن الإيمان دون النوعية) [5] فابن يعقوب لا يرتضي بأن يكون التنكير

---

(١) الكشاف ١٥٧/١-١٦٢ وانظر حاشية السيد والانتصاف بهامش الكشاف ١٥٧/١ وما بعدها والبحر المحيط ٤٨/١ وتفسير أبي السعود ٦٦/١ وروح المعاني ١٣٢/١ .
(٢) انظر حاشية السيد ١٥٨/١ وراجع التحرير والتنوير ٢٥٧/١ .
(٣) انظر تفسير الطبري ٨٨/١ .
(٤) انظر الكشاف ١٦٥/١ وتفسير أبي السعود ٦٧/١ وروح المعاني ١٣٧/١ .
(٥) مواهب الفتاح ضمن شروح التخليص ٣٤٨/١ وانظر مفتاح العلوم ١٩٣ وبغية الإيضاح ١٠٢/١ .

للنوعية ، وهو بهذا يتابع السكاكي ومن سار على نهجه حيث نص على أنه للتعظيم المراد به التهويل .

والمتأمل لهذه الآية الكريمة يرى أن تكرار حرف الاستعلاء على ثلاث مرات قد أحدث في الآية انسجاماً وترابطاً رائعاً ، ورسم صورة واضحة للقدرة الإلهية النافذة واستعلائها فوق الأسباب وظواهرها وهى تطمس رؤى البصر والبصيرة فإذا العلم لا يفلح في إضاءة أقطار نفس شاء الله لها أن تعيش في ظلامها ، وإذا السمع لا ينفذ منه صوت الحق ، وإذا القلب مختوم عليه لا يتسلل إليه شعاع الإيمان [١].

وجاء القلب معبراً عنه بالاستعارة المكنية في قوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) [٢] نرى في هذه الآية الكريمة روعة البيان القرآني في تصويره القلوب في صورة شاخصة حيث شبهت في عدم إدراكها للمعاني بالصناديق المغلقة ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الأقفال المختصة بالصناديق لاستبعاد فتحها ، واستمرار انغلاقها فلا تطلع مخبآها على أحد ولا يطلع على مخبآها أحد [٣] ، و " أم " منقطعة بمعنى بل ، وهمزة الاستفهام للتقرير لزيادة التسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر ، وللتعجب من حالهم لإعراضهم عن تدبير القرآن وانتفاعهم بهدية [٤] وتنكير القلوب إما للتبعيض أو التنويع لأن المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون ، وإما لتهويل حالها وتفظيع أمرها في القساوة والجهالة كأنه قيل على قلوب قاسية منكرة مبهم أمرها في ذلك .

وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أنها أقفال مختصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الأقفال المعهودة ، لأنها أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح لنور الهداية والإيمان[٥].

---

(١) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ص ٧٦ ، وانظر ١١٨ .
(٢) محمد (٢٤) .
(٣) انظر حاشية الشهاب ٤٩/٨ والتحرير والتنوير ١١٤/٢٦ .
(٤) انظر الكشاف ٣/ والتحرير والتنوير ١١٤/٢٦ .
(٥) انظر الكشاف ٥٣٦/٣ والتفسير الكبير ٦٦/٢٨ وروح المعاني ٧٤/٢٦ والتحرير والتنوير ١١٤/٢٦ .

ومن ذلك قوله تعالى (وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون) [1] . تفصل هذه الآية الكريمة إعراض الكفار عن الانتفاع بالقرآن وهدية بعد تقديم بعض صفاته في مطلع السورة الكريمة التي من شأنها أن تقربهم إلى تلقيه لا أن يعرضوا عنه ويبتعدوا عن سماعه .

وفي التعبير بقوله (قلوبنا في أكنة) استعارة مكنية حيث شبهت القلوب بالأشياء المغطاة ، ووجه الشبه حيلولة وصول الدعوة إلى قلوبهم وعقولهم كما يحول الغطاء والغلاف دون تناول ما تحته[2] .

وذهب الزمخشري وتابعه عدد من المفسرين إلى أن هذه الآية الكريمة ثلاث استعارات تمثيلية بقوله " وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع نفوذه فيها ، ..... ، ومج أسماعهم له كأن بها صمماً عنه ، ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله ﷺ وما هو عليه حجاباً ساتراً وحاجزاً منيعاً من جبل أو نحوه) [3] .

والتعبير بحرف الظرفية " في " في قوله " قلوبنا في أكنة وفي آذننا وقر " يفيد المبالغة في حرصهم على عدم سماع ما يدعوهم إليه بحيث لا ينفذ إليها شيء كما يحيط الظرف بمظروفه .

وفي هذه الآية من البلاغة ما لا يليق أن ينتظم إلا في درر الكتاب العزيز ، فإنها اشتملت على ذكر حجب ثلاثة متوالية كل واحد منها كاف في فنه ، أولها : الحجاب الحائل فقد شبهواقلوبهم بالشيء المحوي المحاط بالغطاء المحيط له ، وثانيها ، حجاب الصمم حيث شبهوا أسماعهم بآذان بها صمم من أنها تمج الحق ولا تميل إلى استماعه ، وثالثها وأقصاها الحجاب الذي أكن القلب والعياذ بالله فقد شبهوا حال أنفسهم مع الرسول بحال شيئين بينهما حجاب عظيم يمنع من وصول

---

(١) فصلت (٥) .
(٢) انظر التحرير والتنوير ٢٣٣/٢٤ .
(٣) الكشاف ٤٤٢/٣ وانظر تفسير البيضاوى وحاشية الشهاب ٣٨٨/٧ وروح المعاني ٩٦/٢٤ وإعراب القرآن وبيانه ٥٣١/٢٤ وما بعدها .

أحدهما إلى الآخر فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ، فلم تدع هذه الآية حجاباً مرتخياً إلا أسبلته ، ولم تبق لهؤلاء الأشقياء مطمعاً ولا صريحاً إلا استلبته[1] .

ومن شواهد الاستعارة المكنية قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) [2].

في التعبير القرآني " ربطنا على قلبها " استعارة مكنية شبه فيها القلب بصرة تربط على ما فيها فتحفظه ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الربط ، وهذا ما يفهم من كلام الزمخشري وإن لم يذكرها صراحة بقوله (لولا أن ربطنا على قلبها بإلهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن) [3].

ويمكن حمل هذا التعبير على الاستعارة التمثيلية بتمشية حالة أم موسى عليه السلام وقد حفظت حال ولدها وضبطت نفسها بحال رجل ربط على قلبه .

أما أبو حيان فقد صرح بأن (الربط على القلب كناية عن قراره واطمئنانه) [4] ،أما الشهاب فيرى أنه مجاز بقوله (الربط على القلب مجاز كما في قوله (وليربط على قلوبكم) [5] ، فالشهاب يذهب إلى أن المجاز هنا من قبيل المجاز المرسل علاقته الجزئية حيث أطلق الجزء وأراد الكل أي ربطنا عليها .

وتكمن بلاغة القرآن في أن هذا التعبير القرآني " ربطنا على قلبها " دال على أن يد العناية الإلهية هي التي ربطت على قلب أم موسى تطميناً وتسكيناً لها ، وتثبيتاً لحالها ، وفي ذلك من الدلالة على التشريف والعناية والرحمة مالا يزيد عليه ، وتأمل جمال التعبير بالفعل ربط

---

(١) انظر حاشية السيد علي الكشاف ٤٤٢/٣ وإعراب القرآن وبيانه ٥٣٢/٢٤ .
(٢) القصص (١٠) .
(٣) الكشاف ١٦٧/٣ .
(٤) البحر المحيط ١٠٧/٧ .
(٥) الآية (١١) من سورة الأنفال وانظر حاشية الشهاب ٦٦/٧ وراجع روح المعاني ٤٩/٢٠ .

وتعديته بعلي ولم يقل " ربطنا قلبها " وذلك للإيماء (إلى أن هذه القلوب امتلأت ثقة ويقينا حتى فاض عليها وعلاها ، والاستعلاء هنا أقرب إلى روح النظم وأدل على أسرار الحرف لأنه ينشر من ظلاله على ما حوله معنى تغشية الله هذه القلوب وتجليه لها ، وما أفاضه عليها من الثقة به ، والاطمئنان إلى معينه ما أحاطه بغطاء من الأمن والثبات ، فلم يعد يتسرب إليها الخوف ، ولا ينفذ إليها الضعف والوهن ، ولا يصل إليها ما يزعجها بعد أن بسط الله عليها تعالى يده ونشر عليها غلالة من حمايته) [1].

ولعل الوقوف لبيان سر تعبير القرآن في مطلع هذه الآية بالفؤاد في قوله تعالى (أصبح فؤاد أم موسى فارغاً) وفي نهاية الآية بالقلب في قوله تعالى (لولا أن ربطنا على قلبها) واختصاص كل لفظ منهما بموضعه اللائق به بحيث لا يصلح أن يوضع أحدهما موضع الآخر يعد مظهراً من مظاهر بلاغة القرآن المعجزة ، وقبل أن نتحدث عن إيضاح هذا الأمر ، ينبغى علينا تحديد المراد بالفؤاد في هذه الآية الكريمة وما معنى فراغه ؟ وما هو متعلق الفراغ ؟ .

فالفؤاد هنا مراد به العقل ، ومعنى فراغ العقل من أمر أو التعبير بفراغه مستعمل مجازاً عن عدم احتواء العقل على ذلك الأمر ، وترك التفكير فيه . ولما لم يذكر في الآية السبب الذي من أجله أصبح فؤاد أم موسى فارغاً ، اختلفت أقوال المفسرين فى بيان متعلق الفراغ ما هو وترجع أقوالهم إلى ناحيتين : ناحية تؤذن بثبات أم موسى ورباطة جأشها، وناحية تؤذن بتطرق الضعف والشك إلى نفسها فأما ما يرجع إلى الناحية الأولى فهو أنه فارغ من الخوف والحزن فأصبحت واثقة بحسن عاقبته تبعاً لما ألهمها من أن لا تخاف ولا تحزن فيرجع إلى لثناء عليها وهذا أسعد بقوله تعالى بعد (لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) لأن ذلك الربط من توابع ما ألهمها الله من أن لا تخاف ولا تحزن ، ... وعن ابن عباس من طرق شتى أنه قال : فارغاً من كل شيء إلا ذكر موسى ، وفي هذا شئ من رباطة جأشها إذ فرغ لبها من كل

---

(١) من أسرار حروف الجر ص١١٢ .

خاطر يخطر في شأن موسى ، ..... ، وأما الأقوال الراجعة إلى الناحية الثانية فقال ابن عطية والقرطبى عن ابن القاسم عن مالك : الفراغ هو ذهاب العقل ، قال ابن عطية هو كقوله تعالى (وأفئدتهم هواء) أي لا عقول فيها ، وفي الكشاف : أي لما سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع ، وقال ابن زيد والحسن وابن إسحاق : أصبح فارغاً من تذكر الوعد الذي وعدها الله إذ خامرها خاطر شيطاني فقالت في نفسها : إني خفت عليه من القتل فألقيته بيدي في يد العدو الذي أمر بقتله ، وقال ابن عطية ، وقالت فرقة : فارغاً من الصبر ، ولعله يعني من الصبر على فقده ، وكل الأقوال الراجعة إلى هذه الناحية ترمي إلى أن أم موسى لم تكن جلدة على تنفيذ ما أمرها الله تعالى وأن الله تداركها بوضع اليقين في نفسها) [1].

ولبيان سر إيثار القرآن التعبير بالفؤاد والقلب في هذه الآية نقول: إن القرآن الكريم يختار من الألفاظ ما يكون أكثرها قدرة على الوفاء بحق المعنى بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة ، وصورته الكاملة ، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين ، وقراره المكين [2] ، ولكل من الفؤاد والقلب موضعه اللائق به بحيث لا يصلح أن يوضع أحدهما موضع الآخر لأن لكل منهما دلالته الخاصة به التى يضفيها على السياق ، ولما كان الفؤاد مشتقاً من التفؤد بمعنى التوقد ناسب في هذه الآية أن يعبر به عن العقل للدلالة على شدة توقد عقل أم موسى في التفكير بولدها بحيث لا يشغل عقلها شيء سواه ، ولو قيل " فأصبح قلب أم موسى فارغاً " لتغير المعنى وذهب ما قصده النظم القرآني لدلالة هذا التعبير على خلو قلبها مما أثبته التعبير القرآني في قوله " ربطنا على قلبها " من تطمين الله لها وتثبيتها وتأييدها ، ولما كان القلب مشتقا من التقلب ناسب أن يعبر به عن الذات في قوله تعالى (وربطنا على قلبها) للدلالة على كثرة تقلبها في الخوف والهم والحزن، فكان قوله تعالى (ربطنا على قلبها) أي عليها . دالاً على كمال عناية

---

(١) تحرير والتنوير ٨٠٢/٢٠ وما بعدها وراجع الكشاف ١٦٧/٣ والبحر المحيط ١٠٦/٧ وما بعدها وروح المعاني ٤٨/٢٠ وما بعدها .

(٢) انظر النبأ العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز ص ٩٢ .

الله بها تطمينا لها وتسكيناً لها ، ولو قيل " ربطنا على فؤادها " أي على عقلها باستعمال الفؤاد في العقل لتبدل المعنى وذهب ما كنت تراه في التعبير القرآني مما ذكرناه سابقاً لأن الربط على القلب يدل قطعاً على طمس العقل كلية وحجب ما أودعه الله فيه من الآلات التى تعين العقل للنفوذ إلى الأشياء لإدراك حقائقها ، ولهذا اقتضى التعبير القرآني أن يعبر في كل مواضع باللفظ اللائق بموضعه الذي استدعاه المقام واقتضاه السياق .

أما المجاز المرسل الذي سلكه القرآن للتعبير به عن القلب فلم يرد من علاقاته في آيات القرآن – التي أمكن حملها على المجاز المرسل – سوى علاقة الجزئية ، وعلاقة المسببية فى قوله تعالى (ختم على قلوبهم وعلى سمعهم) حيث تعددت أقوال المفسرين في توجيه الصورة البلاغية في هذه الآية الكريمة ، والتي سبق الحديث عنها في موضع سابق من هذه الدراسة .

ومن شواهد المجاز المرسل التي عبر فيها القرآن عن القلب مريداً به جملة الرسول ﷺ حيث أطلق فيها الجزء وأريد منه الكل قوله تعالى (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) [1] ، ونلحظ أن القرآن قال " على قلبك " ولم يقل " عليك " كما ورد ذلك في قوله تعالى (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) [2] لان القرآن الذي هو سبيل الهداية والإيمان محله القلب .

ويضيف بعض الباحثين قائلاً (أرى والله أعلم في إيثار التعبير بالقلب وإرادة الجملة في هذه الآية على طريق المجاز المرسل ، زيادة نكاية وإغاظة لليهود الذين يعادون جبريل عليه السلام ، فإذا كانت قلوبهم تموج بالغيظ والحقد على جبريل لأنه نزل عليه القرآن ، فإن قلبك يفيض حباً لمن نزل عليك بهذا النور ، وأودعه قلبك ، فبينك وبين جبريل

---

(١) البقرة (٩٧).
(٢) طه (٢) .

من الإلـف ما بينـك وبين القـرآن الذي يعمر قلبك ، فليموتوا غيظاً وكمداً) [1] .

ونظير الآية السابقة قوله تعالى (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) [2] .

ومثل ذلك قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .....) [3] ففي التعبير بقوله ألف بين قلوبكم " مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث أطلق الجزء " القلوب " وأراد بها الكل أي " فألف بينكم".

ويوضح التعبير القرآني (إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ....) امتنان الله على هذه الأمة ورحمته لها حيث جمعهم على الألفة والمحبة ، ويصور ما كانوا عليه في الجاهلية من تناحر وحروب وإحن ، وكيف أنه سبحانه قد ألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته بعد أن كانوا متباغضين متحابين متألفين ، وما كان إلا الإسلام وحده هو الذي يجمع هذه القلوب المتنافرة ، وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمته إخواناً) [4].

وغير خاف أن التعبير بقوله " فألف بين قلوبكم " أبلغ مما لو قيل " فألف بينكم " لأنه يجسد معاني الأخوة والحب ، ويصور القلب حزمه مؤلفة متآلفة بيد الله وعلى عهده وميثاقه .

ومن صور البيان التي اتخذها القرآن للتعبير عن القلب المجاز الذي نرى فيه الفعل يسند إلى غير الفاعل الحقيقي حيث يسند إلى المفعول أو المصدر أو الزمان أو السبب وغير ذلك للدلالة على ما لها من قدرة في صنع الفعل وبناء الأحداث .

وفي القرآن الكريم أفعال كثيرة أسندت إلى القلب على سبيل المجاز العقلي منها ما جاء في قوله تعالى (ولا تكتموا الشهادة ومن

---

(١) من بيان القرآن للدكتور محمد الأمين الخضري ص٨٨ .
(٢) الشعراء (١٩٤) .
(٣) آل عمران (١٠٣) .
(٤) في ضلال القرآن المجلد الأول ص ٤٣٦ .

يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعلمون عليم)[1] في التعبير القرآني " آثم قلبه " مجاز عقلي علاقته الآلية ، لأن كتمان الشهادة الذي هو سبب الإثم مقترف بالقلب ، وهذا ما ذكره الزمخشرى في قوله (لما كان إثما مقترفاً بالقلب أسند إليه ، لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ ، ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد : هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي)[2] .

وذكر أبو حيان كلاماً يفهم منه أن التعبير بالقلب من إطلاق البعض على الكل على سبيل المجاز المرسل[3] ، غير أن الوجه الذي ارتضيه لكونه – من وجهة نظري – أليق بالسياق هو الوجه الأول لأن إسناد الإثم إلى القلب دال على أن (الإثم قد تمكن في أصل نفسه وملك أشرف مكان ، ولئلا يظن أن اكتمال الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط ، وليعلم أن القلب أصل متعلقة ومعدن اقترانه ، واللسان ترجمان عنه ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح ، وهي لها كالأصول التي تتشعب منها)[4] .

ومن ذلك قوله (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً)[5] .

لا شك أن إسناد التعمد إلى القلوب التي هي آلته (من باب الإسناد المجازي الذي يسند في الفعل إلى الجارحة التي هي آلته ، وهذا أبلغ من إسناده إلى الشخص ، وتشعر بهذا الفرق في أداء المعنى حين نوازن الآية بقولنا : ولكن ما تعمدتم .... ، وفي إسناد التعمد للقلوب ملحظ آخر وهو التنفير من القصد الخطأ والانحراف ، حتى تظل هذه القلوب مستقيمة ، نقية ، فإنها هي موطن الإيمان ، ومعدن الخير في الإنسان ، والقصد إلى الخطأ يحجب القلب عن كل خير ، ويحبسه في ظلمة

---

(١) البقرة (٢٨٣) .
(٢) الكشاف ٤٠٦/١ وانظر البحر المحيط ٣٥٧/٢ وحاشية الشهاب ٢٥٣/٢ والفتوحات الإلهية ٢٣٦/١ .
(٣) انظر البحر المحيط ٣٥٧/٢ .
(٤) الكشاف ٤٠٦/١ وراجع البحر المحيط ٣٥٣/٢ وحاشية الشهاب ٣٥٣/٢ وروح المعاني ٦٣/٣ .
(٥) لأحزاب (٥) .

الذنب ، فلا يهتدى إلى وجه من وجوه الصواب ، ولذلك كان الران عليه أو الرين من عقوبات الله للعصاة ..... ، ومناسبة الفاصلة للمعنى الواقع قبلها واضحة ، فإن المغفرة ، والرحمة ، تتناسبان مع العمد والخطأ ، فمن مغفرته قبول تعدية العامد إذا تاب ، ومن رحمته أنه رفع الحرج عن المخطئ ، ونرى فى هذه الفاصلة سياجاً من نور رحمة الله ، وغفرانه ، يحيط بالبشرية كلها ، براً ، وفاجراً ، فلم يقابل العمد بصفة القهر ، والاقتدار ، والجبروت كما قابل الخطأ بصفة الرحمة ، ولكن المغفرة ، والرحمة ، غلبت الغضب) [1] ، وفى القرآن أفعال كثيرة أسندت إلى القلب عن طريق المجاز العقلى فى قوله تعالى : " ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ". [2]

أما الكناية وهي من وسائل البيان التي اتخذها القرآن أداة للتعبير عن القلب فقد تصرف فيها البيان القرآني تصرفاً عجيباً حيث عبر عن القسوة وجفاء الطبع بغلظ القلب في قوله تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) [3] وعن الإعراض والنفور وشدة الكراهية باشمئزاز القلب في قوله تعالى (إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) [4].

وعن الإعراض ورفض الإيمان بإزاغة القلوب في قوله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) [5] وعن الخوف والهلع ببلوغ القلوب الحناجر في قوله تعالى (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر تظنون بالله الظنونا) [6] في هذه الآية الكريمة يصف البيان القرآني صورة حسية بالغة لحالة الخوف والفزع التى أصابت المسلمين حيث أحاطت بهم جيوش الكفار في معركة الأحزاب ، (فترى أثر هذا الموقف في النفوس ، وهو تعبير

---

(١) من أسرار التعبير القرآني للدكتور محمد أبو موسى ص ٧٠ .
(٢) آل عمران (١٥٩) وانظر التحرير والتنوير ١٤٦/٤.
(٣) البقرة (٢٢٥) وراجع المائدة (٤١) والتوبة (٢٨ ، ٤٥) والأنفال (٢) والرعد (٢٨) والحديد (١٦) .
(٤)الزمر (٤٥) وانظر التحرير والتنوير ٣٠/٢٤ .
(٥)الصف (٥).
(٦)الأحزاب (١٠) .

مصور لحالة الخوف والكربة والضيق ، يرسمها بملامح الوجوه وحركات القلوب) [١].

والتعبير القرآني يرسم لك مشهداً (لقوم استبد بهم الخوف ، فجمدوا في مكانهم ، وهربت الأبصار من إحداقها ، وتوقفت الأنفاس ، وفارقت القلوب صدورها فزعاً ورعباً ، حتى أصبحوا بلا حراك ، شلت عقولهم عن الفكر ، وأجسادهم عن الحركة) [٢] وغير خاف أن (بلوغ الحناجر كناية عن شدة الفزع والخوف حتى لكأن مشاعر القلق والخوف تتصاعد بالقلب فتعلوا به إلى حيث يقذف ، ووجه هذه الكناية أن القوم كانوا يعتقدون أن الخائف يتقلص قلبه ويجتمع ويلتصق بالحنجرة ، وتنفتح رئته من شدة ما يجده ، وإذا انتفخت الرئة ارتفع القلب بارتفاعها ، ولهذا قالوا للجبان : انتفخ سحره ، أي انتفخت رئته ، فبلوغ الحناجر من لوازم هذه الأحوال فلذلك وقع كناية عنها) [٣] .

ونظير الآية السابقة قوله تعالى كناية عن الخوف والفزع في أول مشاهد يوم القيامة (وأنذرتهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) [٤].

لعلك تلحظ من التعبير القرآني " إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين " تصوير ما عليه الناس يوم القيامة من شدة ما يرونه من أحوالها المرعبة ، فإذا (القلوب يشتد اضطراب حركتها من فرط الجزع مما يشاهده أهلها من بوارق الأهوال حتى تتجاوز القلوب مواضعها صاعدة إلى الحناجر) [٥] وبلوغ الحناجر كناية عن الخوف والفزع يوم القيامة ، وقد أضيف إلى هذه الصورة قيد هو قوله " كاظمين " وهو حال من أصحاب القلوب الذين يدل عليهم معنى الكلام السابق .

---

(١)في ظلال القرآن الكريم المجلد الخامس ٢٨٣٧.
(٢) من بيان القرآن للدكتور محمد الخضري ص٦.
(٣) من أسرار التعبير القرآني ص٩٩ .
(٤) غافر (٨١) .
(٥) التحرير والتنوير ١١٤/٢٤ وانظر روح المعاني ٥٨/٢٤ .

وبالموازنة بين هاتين الآيتين نلاحظ استواء الصورتين ، صورة جيش الإسلام وراء الخندق ، وصورة الناس يوم الآزفة ، الشد واحدة ، والهول واحد ، ثم تضاف إلى الآية الثانية صفة الكظم أي الإمساك من قولهم : كظم غيظه ، إذا رد غضبه وحبسه في نفسه فالقوم قد بلغ الخوف والهم بهم ما بلغ حتى صارت القلوب لدى الحناجر ، ثم هم فوق ذلك كاظمون أي عاجزون عن الحديث ، وناهيك عن كظم الهم فإنه أوجع من الهم نفسه ، الفرق واضح بين الصورتين ، الناس وراء الخندق يتكلمون يقولون (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) والمنافقون يقولون : (ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) المهم أن القوم يتفوهون ويخففون عن أنفسهم ، والقوم عند الآزفة صامتون صمت عجز ، لأن ألسنتهم انعقدت فلا تدور بكلام ، فقوله " كاظمين " وصف يوقع في خيالنا أن كل واحد في هذا الموقف الكارب الممتلئ خوفاً ، ثم هو مكظوم أي مربوط فمه كما يكظم فم القربة الممتلئة ، ... ، فقوله (إذ القلوب لدى الحناجر) تقرير للخوف الشديد ، وقوله " كاظمين " تقرير للعجز عن الكلام فإن الملهوف إذا قدر على الكلام وبث الشكوى حصل له على نوع خفة وسكون ، وإذا لم يقدر عظم اضطرابه واشتد حاله) [1].

---

(١) من أسرار التعبير القرآني ٩٩ وما بعدها .

الفصل الثاني

الفؤاد في البيان القرآني

المبحث الأول : الفؤاد حقيقته ودلالته في القرآن الكريم

الفؤاد : القلب لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد : أي التوقد ولعل الاستعمال القرآني يؤيد ذلك في جميع مواطن وروده[١] .

وقد ورد الفؤاد مفرداً أو مجموعاً في القرآن الكريم مراداً به حقيقة القلب كما في قوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)[٢] وقوله تعالى (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون)[٣] ، وورد مراداً به العقل كما في قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً)[٤] وقوله تعالى (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة)[٥] ، وأطلق الفؤاد وأريد به الذات كما في قوله تعالى (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك)[٦] ، وقد جاء لفظ الفؤاد في القرآن الكريم مفرداً في خمسة مواضع ، في موضعين منهما ورد غير مضاف كما في قوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)[٧] وقوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى)[٨] ، وفي ثلاثة مواضع جاء مضافا إلى الضمير كما في قوله تعالى كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً)[٩] أو مضافا إلى الاسم كما في قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً)[١٠] ، وورد لفظ

---

(١) انظر لسان العرب مادة فأد والمفردات ٦٤٦ وبصائر ذوي التمييز ٢١٨/٤ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٣٠٧/٢ .
(٢) الإسراء ٣٦ .
(٣) النحل (٧٨) ولهذه الآية نظائر عديدة انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٥١٠ .
(٤) القصص (١٠) .
(٥) الأنعام (١١٣) .
(٦) هود (١١) وانظر الفرقان ٣٢ .
(٧) الإسراء (٣٦) .
(٨) النجم (١١) .
(٩) الفرقان (٣٢) وراجع هود (١٢٠) .
(١٠) القصص (١٠) .

الفؤاد مجموعاً في أحد عشر موضعاً ، في سبعة مواضع جاء غير مضاف كما في قوله تعالى (وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة) [١] وقوله تعالى (التى تطلع على الأفئدة) [٢] ، وفي موضع واحد جاء مضافاً إلى الاسم الموصول كما في قوله تعالى (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) وفي ثلاثة مواضع ورد مضافاً إلى ضمير جمع الغائبين كما في قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) وقوله تعالى (لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) بتأمل مواضع ورود الفؤاد مفرداً ومجموعاً في القرآن الكريم نجد أن دلالاته أقل من دلالات القلب في القرآن نظراً لقلة وروده ، ولم يسند القرآن له ما أسنده إلى القلب من العواطف والمشاعر أو السلوكيات الإنسانية مباشرة ، ولعل مرد ذلك إلى أن القلب أكثر استعمالا وشيوعاً في كلام العرب وفي القرآن الكريم ، ومع ذلك فإن القرآن يستعمل كلاً منهما في موضعه اللائق به . والمتأمل يستطيع أن يستشف أو يستخلص من مواطن ورود الفؤاد في القرآن الكريم بعض المعاني التي أسندت إلى الفؤاد في القرآن الكريم حيث ورد في سياقات عديدة .

فقد ذكر في سياق تثبيت فؤاد الرسول ﷺ تسرية وتسلية في قوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) [٣] ، وذكر في سياق الحواس كما في قوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) [٤] وقوله تعالى (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) [٥] ففى ذلك إشارة إلى أن الحواس منها ظاهر وهى السمع والبصر وغيرها من الحواس الخمس ، ومنها ما وراء الظاهر وهو الأفئدة التى هي وراء السمع والبصر ، وهما أي السمع والبصر من أعظم آلات الإدراك إذ بهما إدراك أهم الجزئيات ، وهما من أقوى الوسائل لإدراك العلوم الضرورية ، وقدما لأهميتها ، ثم ذكر بعدها (الأفئدة) والمراد بها العقل ، وهو مقر الإدراك كله ، فهو

---

(١) المؤمنون (٧٨) .
(٢) الهمزة (٧) وراجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٥١٠ .
(٣) هود (١٢٠) .
(٤) الإسراء (٧٨) .
(٥) النحل (٣٦) .

الذي تنقل إليه الحواس مدركاتها [١] ، فكأن وراء هذه الحواس جهازا مترجماً يحلل ويعلل ويستنبط لإدراك حقائق الأمور والنفاذ إلى أعماقها .
وفي سياق بيان أن الفؤاد هو القوة الضابطة التى يعول عليها في رباطة الجأش ومقابلة في قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها) [٢] ، فكان الربط على قلبها تثبيتاً لها ، ولولا أن من الله بذلك التثبيت وبرباطة الجأش لظهر عليها ما يكون سببا في هلاك ابنها موسى عليه السلام .

وذكر في سياق الوعي والإدراك الفكري الذي يتسلل إلى الأفئدة فإما أن تميل إلى قبول ما تدعى إليه واتباعه ، وإما أن تعرض عنه وتميل إلى إتباع غرور الشياطين كما في قوله تعالى (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) [٣].

وذكر في سياق أن الفؤاد وهو منبع الإثم والانحراف وبخاصة مع الكافر حيث تطلع النار على الأفئدة فتصيب كل فؤاد بما هو كفاؤه من شدة الإحراق على حسب مبلغ سوء اعتقاده ، وإطلاعها عليه معناه أن تعلو وسطه وتشتمل عليه اشتمالاً بليغاً ، وتخصيصه بالذكر لأنه ألطف ما في البدن وأشده تألماً بأدنى شيء من الأذى ، ولأنه منشأ العقائد الفاسدة ، ومعدن حب المال الذي هو منشأ الفساد والضلال [٤].

المبحث الثاني : الفؤاد ومباحث علم المعاني

أولاً الفؤاد بين الإفراد والجمع :

ورد الفؤاد في القرآن الكريم مفرداً في خمسة مواضع مضافاً وغير مضاف ، من ذلك قوله (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) [٥] وقوله تعالى كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) [٦]

---

(١) انظر التحرير والتنوير .
(٢) القصص (١٠) .
(٣) الأنعام (١١٣) .
(٤) انظر نظم الدرر ٢٤٧/٢٢ والتحرير والتنوير ٥٤١/٣٠ .
(٥) الإسراء (٣٦) .
(٦) الفرقان (٣٢) .

وأفرد الفؤاد في هاتين الآيتين الكريمتين وغيرهما لأن المخاطب أو المتحدث عنه مفرد ، وفي مجيء الفؤاد بالإفراد في هذه المواضع تحقيق ومراعاة للتناسب اللفظي .

وجاء الفؤاد مجموعاً في أحد عشر موضعاً مضافاً أو غير مضاف من ذلك قوله تعالى (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) [١] ، فلما كان الذين لا يؤمنون بالآخرة – وهم المشركون – جمعاً ناسبه أن تجمع (الأفئدة) تحقيقاً لمراعاة التناسب اللفظي ، ولو أفرد لنبا عنه السياق لعدم صحته في سليقة العربية .

ومع أن جمع الفؤاد يحقق هذا التناسب اللفظي في مواضع وروده في القرآن الكريم فإن في جمعه مراداً به العقول ملمحاً بلاغياً أجده أرقى من القول بالتناسب اللفظي وهو الإشارة إلى تعدد مدركات العقول من الأجناس والأنواع ، وفي هذا الصدد يقول الطاهر بن عاشور (وقيل الجمع باعتبار المتعلقات فلما كان البصر يتعلق بأنواع كثيرة من الموجودات ، وكانت العقول تدركا أجناساً وأنواعاً جمعاً بهذا الاعتبار) [٢] غير أن البقاعي يذكر سرا لجمع الأفئدة جمع قلة في قوله تعالى (وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) [٣] يقول (جمع فؤاد وهو القلب لتوقده وتحرقه ، من التفؤد وهو التحرق ، وعبر به هنا لأن السياق للاتعاظ والاعتبار ، وجمعه جمع قلة إشارة إلى عزة من هو بهذه الصفة) [٤] .

ثانياً : الفؤاد تعريفه وتنكيره :

لم يرد الفؤاد وهو مفرد نكرة في القرآن الكريم ، وإنما جاء معرفاً بأل أو بالإضافة في خمسة مواضع ، في موضعين منهما جاء معرفاً بأل كما في قوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد ....) [٥] فأفاد التعريف الجنس ليشمل كل ما هو من جنس الفؤاد ، وورد مضافاً إلى

---

(١) الأنعام (١١٣) .
(٢) التحرير والتنوير ١٠٤/١٨ ز
(٣) المؤمنون (٧٨) وانظر التحرير والتنوير ١٠٤/١١ ، ٢١٧/٢١ .
(٤) نظم الدرر ١٧٣/١٣ .
(٥) الإسراء (٣٦) وانظر النجم (١١) .

الاسم الظاهر في مقام تكريم الله لأم كليمه ورعايته الشديدة لها تطميناً وتثبيتاً لها في قوله تعالى (فأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ...) [1] تفيد إضافة الفؤاد إلى المضاف إليه في هذه الآية الكريمة قصد تعيينه وإيضاح حقيقته ، كما أن الإضافة هي أخصر طريق لإحضار المسند إليه (الفؤاد) في ذهن السامع .

وورد الفؤاد مفرداً معرفاً بالإضافة إلى ضمير المخاطب في موضعين في مقام تكريم الله لنبينا الكريم ﷺ وتأنيسه وتثبيت فؤاده ، وهذه من أجل نعم الله تعالى التى أنعم الله بها على خاتم رسله كما في قوله تعالى (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) [2] وقوله تعالى (كذلك لنثبت به فؤادك) [3] فإضافة الفؤاد إلى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف والتعظيم ، لأن الإضافة إليه تشريف ما بعده من تشريف . وورد الفؤاد مجموعاً معرفاً بأل وبالإضافة ، حيث ورد معرفاً بأل في خمسة مواضع[4] منها قوله تعالى (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) فتعريف الأفئدة بأل في قوله (الأفئدة) للجنس أي جنس الأفئدة . وجاء مضافاً إلى الضمير في ثلاثة مواضع ، كان الحديث فيها عن الكفار منه قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) [5] وقوله تعالى (لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) [6] وقوله تعالى (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون آيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون) [7] لم أجد للمفسرين - فيما وقفت عليه من كتبهم – شيئا يستحق ذكره حول إضافة الأفئدة إلى ضمير الغائبين في هذه الآيات الكريمات ، ويبدوا لي والله أعلم بمراده أن الإضافة لزيادة التحقير لشأنهم والازدراء لهم حيث طوى البيان القرآني ذكرهم واقتصر

---

(١) القصص (١٠) .
(٢) هود (١٢٠) .
(٣) الفرقان (٣٢) .
(٤) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٥١٠ .
(٥) الأنعام (١١٠) .
(٦) إبراهيم (٤٣) .
(٧) الأحقاف (٢٦) .

على ذكرهم بضمير الغائب إشارة إلى أنهم ليسوا أهلاً لأن يوجه الله تعالى لهم الخطاب لإعراضهم عن إتباع الحق تحقيراً لهم .

وجاء الفؤاد مجموعاً مضافاً إلى الاسم الموصول في قوله تعالى (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) [1] ويلاحظ أن البيان القرآني لم يقل من أفئدة المشركين) .

بل أضاف الأفئدة إلى الاسم الموصول (أفئدة الذين لا يؤمنون) لزيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام ، وليتوصل إلى وصفهم بمضمون هذه الصلة وهو عدم إيمانهم بالآخرة ، ففي ذلك إيماء (إلى بعض آثار وحي الشياطين لهم ، وهذا الوصف أكبر ما أضر بهم ، إذ بسببه لا يتوخون فيما يصنعون خشية العاقبة وطلب الخير بل يتبعون أهواءهم وما يزين لهم من شهواتهم ، معرضين عما في ذلك من المفاسد والكفر ، إذ لا يترقبون جزاء عن الخير والشر) [2] .

وجاء لفظ الأفئدة منكراً في موضعين في قوله تعالى (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ....) [3] وقوله تعالى (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ...) [4] يفيد التنكير في هاتين الآيتين الكريمتين التكثير في الأولى أي فاجعل أفئدة كثيرة تهوي إليهم والتعظيم في الثانية أي جعلنا لهم أفئدة ذات شأن في الإدراك لكنهم تركوا الإفادة بها .

ثالثاً : الفؤاد تقديمه وتأخيره مع السمع والبصر :

في آيات معدودات في القرآن الكريم ورد الفؤاد مفرداً أو مجموعاً غير مقترن بالسمع والبصر ، وهو حين يذكر مفرداً أو مجموعاً لمراعاة المطابقة بين الألفاظ ومعانيها مفردة ومجموعة ، ومراعاة لحال المقام والسياق الوارد فيه كل منهما إفرادا وجمعاً على نحو ما أوضحناه فيما سبق .

---

(١) الأنعام (١١٣) .
(٢) التحرير والتنوير ١٢/٨ .
(٣) إبراهيم (٣٧) .
(٤) الأحقاف (٢٦) .

وقد اطرد في القرآن الكريم تقديم الفؤاد مفرداً ومجموعاً على حاستي السمع والبصر ، حيث تقدم الفؤاد مفرداً على السمع والبصر في قوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)[1] وتقدم عليهما مجموعاً في ستة مواضع منها قوله تعالى (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلك تشكرون)[2] وقوله تعالى (وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون)[3] ولعل مرد التقديم راجع إلى أهمية المقدم وإيثاره على ما اقترن معه لمزيه فيه ، وتقديم السمع على البصر لأن السمع آلة لتلقى المعارف التي بها كمال العقل ، أو لأن السمع ترد إليه الأصوات المسموعة من الجهات الست بدون توجه ، وفي النور والظلمة بخلاف البصر فإنه يحتاج إلى توجيه بالالتفات إلى الجهة المقابلة[4] ،وتقدم السمع والبصر على الفؤاد مفرداً ومجموعاً وهما من أقوى الوسائل لإدراك العلوم لأنها بمثابة الروافد للفؤاد[5] وهو مقر الإدراك وإليه تنقل الحواس مدركاتها ، فكأن في تقديم السمع والبصر وتأخير الفؤاد عنهما إشارة إلى أن وراء هذه الحواس جهازاً مترجماً يحلل ويعلل لإدراك حقائق الأشياء وفي موضع واحد جاءت الأفئدة مقدمة على الأبصار في قوله تعالى في سياق الحديث عن الكفار (ونقلت أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون)[6] وتقديم الأفئدة على الأبصار لأن الأفئدة بمعنى العقول ، وهي محل الدواعي والصوارف ، فإذا لاح للقلب بارق الاستدلال وجه الحواس إلى الأشياء وتأمل فيها ، والظاهر أن وجه الجمع بين الأفئدة والأبصار وعدم الاستغناء بالأفئدة عن الأبصار ، لأن الأفئدة تختص بإدراك الآيات العقلية المحضة مثل آية الأمية وآية الإعجاز ، ولما لم تكفهم الآيات العقلية ولم ينتفعوا بأفئدتهم لأنها منقلبة عن الفطرة ، وسألوا آيات مرئية مبصرة ، كأن يرقى في السماء وينزل

---

(١) الإسراء (٣٦) .
(٢) النحل (٧٨) .
(٣) المؤمنون (٧٨) وانظر السجدة (٩) والأحقاف (٢٦) والملك (٢٣) والأحقاف (٢٦) حيث تكرر في الآية مرتين .
(٤) انظر مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة ص ٦٧ والتحرير والتنوير ٢٥٨/١ .
(٥) النعام (١١٠) .
(٦) الأنعام (١١٠) .

عليهم كتابا في قرطاس ، أخبر الله رسوله ﷺ والمسلمين بأنهم لو جاءتهم آية مبصرة لما آمنوا لأن أبصارهم منقلبة مثل تقليب عقولهم) [1].

المبحث الثالث : الفؤاد والصور البيانية :

تبين بعد تأمل مواطن ورود الفؤاد مفردا ومجموعا في القرآن الكريم تنوع طرق التعبير البياني التي سلكها القرآن للإبانة عنه ، تنوعت فيها صوره البيانية ، واختلفت فيها أساليبه تبعاً لاختلاف طرق التعبير ، وإن كان من الملاحظ أن الفؤاد لم يحظ – لقلة وروده في القرآن – بما حظى به القلب من تنوع الصور البيانية حيث ورد في آيات عديدة مراداً بها حقيقة القلب أو مراداً به العقل على ما هو شائع في كلام العرب وفي القرآن الكريم [2] ونبدأ بالتشبيه لأنه أول مباحث البيان ، وقد جاء الفؤاد مشبها في موضع واحد في قوله تعالى (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) [3] يبرز البيان القرآني – بعد تقرير عدم غفلة الله تعالى عما يعمله الظالمون ، وبيان أن عاقبة الظلم العذاب وليس الغفلة كما يتوهم من يتوهم – صورة تكشف (عن الأجل المضروب لأخذهم الأخذة الأخيرة ، التي لا إمهال بعدها ، ولا فك منها ، أخذهم في اليوم العصيب الذي تشخص فيه الأبصار من الفزع والهلع ، فتظل مفتوحة مبهوتة مذهولة ، مأخوذة بالهول لا تطرف ولا تتحرك ، ثم رسم مشهداً في زحمة الهول ، مشهدهم مسرعين لا يلوون على شئ ، ولا يتلفتون إلى شئ ، رافعين رؤوسهم لا عن إرادة ولكنها مشدودة لا يملكون لها حراكاً ، يمتد بصرهم إلى ما يشهدون من الرعب فلا يطرف ولا يرتد إليهم ، وقلوبهم من الفزع خاوية خالية لا تضم شيئاً يعونه أو يحفظونه أو يتذكرونه ، فهي هواء خواء) [4] وفي التعبير بقوله (أفئدتهم هواء) تشبيه بليغ لانها ليست بهواء حقيقة وإنما كالهواء في الخلو من الإدراك لشدة الهول ، ويحتمل أن يكون التشبيه في

---

(١) التحرير والتنوير ٤٤٣/٧ .
(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٥١٠ .
(٣) إبراهيم (٤٢-٤٣) .
(٤) في ظلال القرآن المجلد الرابع ص٢١١١ .

فراغها من الرجاء والطمع في الرحمة فهي منخرقة مشبهة الهواء في تفرغه من الأشياء وانخراقه وان يكون في اضطراب أفئدتهم وجيشانها في الصدور وأنها تجيء وتذهب وتبلغ الحناجر ، فهي في ذلك كالهواء الذي هو أبداً في اضطراب [1].

وهذا التشبيه وبما تعانق معه من الكناية في قوله (لا يرتد إليهم طرفهم) بشيء بشدة الهول والرعب يوم القيامة حيث تشخص فيه الأبصار فلا تتحرك ، ويمتد بصرهم إلى ما يشاهدون من الهول فلا يطرف ولا يرتد إليهم ، وقلوبهم هواء خالية من الإدراك لشدة الهول والفزع .

وفي قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ....) [2] يمكن حمل التعبير القرآني على الاستعارة المكنية من خلال تشبيه فؤاد أم موسى بدلو أو صندوق خال ثم حذف المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وخواصه وهو الفراغ ، ولعل الذي حملني على جعل هذه الصورة البلاغية من قبيل الاستعارة المكنية ، وإن كنت لا أرتضي هذا التوجيه لكنه لعله من التوجيهات التي يمكن أن يحتملها التعبير القرآني في هذه الآية الكريمة – هو ما ذكره الطاهر بن عاشور بقوله تعالى (ومعنى فراغ العقل من أمر أنه مجاز عن عدم احتواء العقل على ذلك الأمر احتواء مجازياً ، أي عدم جولان ذلك الأمر في العقل) [3] ويحتمل أن يكون فراغ فؤاد أم موسى كناية عن صفة ترك التفكير في كل الأمور سوى التفكير في ولدها عليه السلام .

أما المجاز المرسل فله الحظ الأكبر في التعبير القرآني ، حيث تتضح بلاغته في الافتنان في التعبير والمبالغة في المعنى والإيجاز في العبارة ، وقد جاء الفؤاد في كثير من مواطنه في القرآن عن طريق المجاز المرسل حيث أطلق الجزء الفؤاد وأريد به الكل كما في قوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في

---

(١) انظر البحر المحيط ٤٣٥/٥ وتفسير أبي السعود ٢٧٧/٣ وحاشية الشهاب ٢٧٦/٥ والفتوحات الإلهية ٥٣٢/٢ وروح المعاني ٢٤٧/١٣ والتحرير والتنوير ٢٤٧/١٣ .

(٢) القصص (١٠) .

(٣) التحرير والتنوير ٨٠/٢٠ ز

هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) [1] ففي قوله تعالى (نثبت فؤادك) مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث أطلق الجزء (الفؤاد) وأريد به الكل أي نثبتك ، ومعنى تثبيت فؤاد الرسول ﷺ زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه بما وعده الله لأن كل ما يعاد ذكره من قصص الأنبياء وأحوال أممهم معهم يزيده تذكراً وعلماً بأن حاله جار على سنن الأنبياء ، وازداد تذكراً بأن عاقبته النصر على أعدائه ، وتجدد تسليته على ما يلقاه من قومه من التكذيب وذلك يزيده صبراً [2] . ونظير ذلك قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى) [3] ففي التعبير بقوله (ما كذب الفؤاد) أطلق الجزء (الفؤاد) والمراد به الكل والظاهر أنه من المجاز العقلي ، وتأمل بلاغة القرآن في تكريم الرسول ﷺ وزيادة تشريفه ورحمة الله رسوله الكريم حيث لم يسند الكذب المنفي إلى الرسول ﷺ مباشرة بل أسند إلى الفؤاد تحاشياً عن نسبة الكذب ولو كان منفياً إلى الرسول ﷺ .

ومنه قوله تعالى (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من كل الثمرات لعلهم يشكرون) [4] ففي دعاء إبراهيم وضراعته إلى الله تعالى طلب من ربه أن يجعل مكة بلداً آمناً عامرة بالسكان يتهافت إليها الناس ويقصدون زيارتها من كل فج عميق ، حيث ذكر الجزء (الأفئدة) والمراد الكل أي فاجعل أناسا يهوون إليهم ، وفي ذكر الأفئدة بيان لحقيقة مسير الناس إلى بلد الله الحرام وأنه يكون عن شوق ومحبة حتى لكأن المسرع هو الفؤاد لا الجسد [5] ، فالحب والشوق إلى مكة هو الذي يقود الناس إلى الإقبال عليها ، ولا يعقل أن تسرع القلوب إلى مكان دون أن تحبه ودون أن يكون مقبولا لديها .

---

(١) هود (١٢٠) وانظر الفرقان (٣٢) .
(٢) انظر التحرير والتنوير ١٩٢/١٢ وراجع الكشاف ٢٩٩/٢ .
(٣) النجم (١١-١٢) .
(٤) إبراهيم (٣٧) .
(٥) انظر التحرير والتنوير ٢٤١/١٣ ز

وفي دعاء إبراهيم عليه السلام جاء التعبير بالأفئدة إما في دعاء المؤمنين جاء التعبير بالقلوب في قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) [1] .

لعل السبب في ذلك هو مناسبة كل لفظ منهما بدلالته لسياقه الوارد فيه ، فلما كان القلب مشتقاً من التقلب – لكثرة تقلبه – ناسب أن يرد في دعاء المؤمنين رغبة منهم فى عدم إزاغة الله لقلوبهم وميلها عن الاستقامة ، أما في دعاء إبراهيم فجاء لفظ الأفئدة مناسباً لسياقه لدلالته على شدة تأجج الشوق في الفؤاد والرغبة الملحة لزيارة بلد الله الحرام وهذا مستفاد من الفؤاد لكونه مشتقاً من التفؤد بمعنى التوقد ، والقلوب متوقدة بالشوق والحب لزيارة مكة ، ولهذا كان ذكر الأفئدة مناسبا لسياقه والله تعالى أعلم .

ولعل من شواهد المجاز العقلي – الذي يسند فيه الفعل إلى غير فاعله الحقيقي – قوله تعالى (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) [2] ففي إسناد الإصغاء إلى الأفئدة مجاز عقلي علاقته المفعولية لأن الأفئدة لا تصغي وإنما يصغي أصحابها ، لأن أصل الكلام إن الذين لا يؤمنون بالآخرة يصغون بأفئدتهم إلى ما توسوس به الشياطين من زخرف القول ويميلون إلى قبوله ، وفي تخصيص عدم إيمانهم بالآخرة دون ما عداها من الأمور التي يجب الإيمان بها وهم بها كافرون بيان لحقيقة أن كفرهم بالآخرة (أضربهم ، وأنهم كانوا بسببه لا يتوخون فيما يصنعون خشية العاقبة وطلب الخير ، بل يتبعون أهواءهم وما يزين لهم من شهواتهم ، معرضين عما في خلال ذلك من المفاسد والكفر ، إذ لا يترقبون جزاء عن الخير والشر ، فلذلك تصغي عقولهم إلى غرور الشياطين ، ولا تصغي إلى دعوة النبي ﷺ والصالحين) [3] . ويحتمل أن يكون التعبير بقوله (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) كناية عن إتباع ما توسوس به من زخرف القول وقبوله .

---

(١) آل عمران (٨) .
(٢) الأنعام (١١٣) .
(٣) التحرير والتنوير ١٢/٨ .

ومن صور البيان التي سلكها البيان القرآني للتعبير عن الفؤاد الكناية كما في قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) [1] .

يقول الطاهر بن عاشور : (ونحن نقلب أفئدتهم وأبصارهم ، أي في نار جهنم ، كناية عن تقليب أجسادهم كلها ، وخص من أجسادهم أفئدتهم وأبصارهم ، لأنها سبب إعراضهم عن العبرة بالآيات) [2] هذه أبرز صور البيان التي جاءت عن طريق الفؤاد في القرآن الكريم وهي كما ترى قليلة بالقياس إلى الصور البيانية التى جاءت عن طريق القلب نظراً لقلة ورود الفؤاد في القرآن الكريم .

---

(١) الأنعام (١١٠) .
(٢) المصدر السابق ٤٤٢/٧ .

الخـــــــاتمة

أسفرت الدراسة لهذا الموضوع المبارك (القلب والفؤاد ومواقعهما في القرآن الكريم) عن كثير من النتائج من أهمها ما يلي :

١. تبين من الدراسة أن القلب أكثر وروداً من الفؤاد في القرآن الكريم ، حيث ورد القلب مفرداً ومثنى ومجموعاً في مائة وثلاثين موضعاً ، أما الفؤاد فقد ورد مفرداً ومجموعاً في ستة عشر موضعاً ، وجاء كل منهما غير مضاف أو مضافاً إلى الاسم الظاهر أو الضمير .

٢. تبين من الدراسة أن الفؤاد قد اشترك مع القلب في بعض الدلالات فكان القلب أكثر دلالات من الفؤاد نظراً لكثرة وروده في القرآن الكريم .

٣. تبين أن القرآن الكريم قد أسند إلى القلب كثيراً من العواطف والمشاعر وبعض السلوكيات الإنسانية ، ولم يسند شيئاً من ذلك إلى الفؤاد مباشرة .

٤. أن القلب حظي في القرآن الكريم بنصيب وافر من صور البيان التي سلكها القرآن الكريم للتعبير عن القلب ، في حين أن الفؤاد لم يحظ بما حظي به الفؤاد من روائع التصوير البياني نظراً لقلة مواطن وروده في القرآن الكريم .

والحمد لله تعالى في الأولى والآخرة ، وصلى الله وسلم وبارك على الهادي البشير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

فهرس المصادر والمراجع

أولاً :

القرآن الكريم

ثانيا : المصادر والمراجع :

١. إعراب القرآن وبيانه للأستاذ محي الدين الدرويش . دار الإرشاد بحمص . بدون تاريخ .

٢. الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ . دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن للدكتور محمد الأمين الخضري . طبع بمطبعة الحسين الإسلامية بالقاهرة . الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ .

٣. الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال . لأحمد بن المنير الإسكندري طبع بهامش الكشاف الزمخشري .

٤. بغية الإيضاح لعبدالمتعال الصعيدي .
طبع مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز القاهرة . بدون تاريخ .

٥. التصوير البياني للدكتور محمد أبو موسى .
مكتبة وهبة بالقاهرة – الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٦. تفسير أبي السعود العمادي الحنفي .
تحقيق عبدالقادر أحمد عطا . طبع بمطبعة الرياض الحديثة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٧. تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي .
طبع دار الفكر بيروت . بدون تاريخ .

٨. تفسير البيضاوي للعلامة البيضاوى .
طبع بهامش حاشية الشهاب الخفاجي ، دار صادر بيروت بدون تاريخ .

٩. تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور .
طبع الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م .

١٠. تفسير الطبري جامع البيان في تفسير القرآن .
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري . طبع دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٨٧ م .

١١. تفسير الفتوحات الإلهية لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل
طبع بمطبعة عيسى اليابي الحلبي وشركاه بمصر بدون تاريخ .

١٢. التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي .

دار الفكر بيروت بدون تاريخ .
١٣. حاشية السيد الشريف الجرجاني على الكاشف .
طبع بهامش تفسير الكشاف للزمخشري دار الفكر بيروت بدون تاريخ .
١٤. حاشية الشهاب الخفاجي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي . للعلامة شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجى .
دار صادر بيروت بدون تاريخ .
١٥. حاشية الشيخ زاده .
طبع المكتبة الإسلامية ديار بكر تركيا ١٢٨٣ هـ .
١٦. حقائق القرآن وأباطيل خصومه . شبهات وردود للدكتور عبدالعظيم المطعنى .
طبع المجلس العلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٤٢٢ - ٢٠٠٢م.
١٧. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني .
لشهاب الدين محمد الألوسي .
إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث الإسلامية بيروت بدون تاريخ .
١٨. شروح اللخيص .
طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر بدون تاريخ .
١٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . لإسماعيل بن حماد الجوهري .
تحقيق أحمد عبدالغفور عطار . الطبعة الثانية ١٤٠٢ - ١٩٨٢م .
٢٠. في ظلال القرآن لسيد قطب .
طبع دار العلم للطباعة والنشر . الناشر دار الشروق بجدة .
الطبعة الثانية عشرة ١٤٠٦ – ١٩٨٦ م .
٢١. الكشاف لجار الله محمود بن عمر الزمخشري .
دار الفكر بيروت بدون تاريخ .
٢٢. الكليات لأبي البقاء الكفوي .
تحقيق د / عدنان درويش وحمد المصري . منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق ١٩٨٢ .
٢٣. لسان العرب لابن منظور .
طبع دار المعارف بمصر بدون تاريخ .

٢٤. مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة . للدكتور علي النجدي ناصف . طبع بدار المعارف بمصر ١٩٧٩ .
٢٥. معجم ألفاظ القرآن الكريم .
من منشورات مجمع اللغة العربية – طبع بالهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . الطبعة الثانية ١٣٩٠ – ١٩٧٠ .
٢٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
لمحمد فؤاد عبدالباقي . طبع بالمطبعة الإسلامية باستنبول بتركيا.
٢٧. مفتاح العلوم للسكاكي .
تحقيق نعيم زرزور .
دار الكتب العلمية بيروت . توزيع دار الباز بمكة ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
٢٨. مفردات ألفاظ القرآن الكريم . للراغب الأصفهاني
تحقيق صفوان عدنان دوادي . الطبعة الثانية ١٤١٨ – ١٩٩٧ .
دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت .
٢٩. مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي .
طبع ضمن شروح التلخيص .
٣٠. من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب .
للدكتور محمد أبو موسى .
مكتبة وهبة بالقاهرة الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
٣١. من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم .
للدكتور محمد الأمين الخضري .
مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
٣٢. من بيان القرآن .
للدكتور محمد الأمين الخضري .
٣٣. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن
للدكتور محمد عبدالله دراز .
طبع دار القلم الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
٣٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي .
طبع دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند .